السبت 13 تشرين الثاني 2021
العدد 4488 السنة السادسة عشرة
Samedi 13 Novembre 2021 nº 4488 16ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

عبد الله العلايلي
ربع قرن على رحيله «الشيخ الأحمر»

الأمم المتحدة: السياسيّون بدّدوا موارد لبنان على البنوك [6]

ميقاتي: المصارف غير قابلة للإصلاح [2]

الكويت - ليكس
الـ 3G السيادّيون وفن التسوّل

[4 ـ 5]

قضية اليوم

ميقاتي: المصارف غير قابلة للإصلاح

حسن عليق

يبدو رئيس الحكومة، نجيب ميقاتي، غير مستعجل عودة مجلس الوزراء للانعقاد. أغلب القضايا الواردة على جدول الأعمال بلا معنى، كنقل الاعتمادات. أما الشغل الجدي في نظره، فهو السعي لإعادة الكهرباء، وإعداد خطّة إنقاذ مالي، والتفاوض مع صندوق النقد الدولي. كل ذلك يمكن القيام به، أو على الأقل،

> **المصارف بحاجة إلى «إعادة بناء»: ربما أربعة أو خمسة منها فقط ستتمكّن من النجاة من الانهيار**

التحضير له، خارج مجلس الوزراء. لا يقول ميقاتي إنه لا يريد للحكومة أن تعود إلى طاولتها، سواء في قصر بعبدا، حيث رئيس الجمهورية ميشال عون يبدي الكثير من الودّ تجاهه، أو في السرايا التي يهجرها رئيسها يومياً بسبب نفاد المازوت من المولدات.

الكهرباء شغله الشاغل، لكنه يبدو متمسكاً بمشروعين لا ثالث لهما:

ـ الغاز المصري والكهرباء الأردنيّة؛

ـ واقتراح المصرفيّة كارول عياط.

المشروع الأول يسير على قدمٍ وساق. القاهرة لم تحصل على إعفاء من عقوبات «قانون قيصر» الأميركي على سوريا، لكنها نالت من واشنطن «رسالة تطمين» تسمح لها ببدء ضخّ الغاز إلى لبنان، بعد انتهاء عمليات الصيانة اللازمة في لبنان وسوريا. ومن المتوقع أن يُنجَز هذا الأمر، بحسب رئاسة الحكومة، في غضون شهرين على الأكثر (ربما يمكن بدء التنفيذ قبل نهاية العام الجاري). أما الأردن، فلم يحصل بعد على «إعفاء أميركي» من العقوبات، لكي يبدأ بنقل التيار الكهربائي إلى لبنان عبر سوريا، فضلاً عن مشكلات تقنية لا تزال بحاجة إلى حلول.

المشروع الثاني قوامه اقتراح المصرفية المختصة في تمويل قطاعات الطاقة، كارول عياط، والذي تبنّاه رئيس الحكومة بعد إدخال تعديلات عليه. هذا الاقتراح ينصّ على تمليك مودعين من المحجوزة أموالهم في المصارف، شركة تقيم معمّلين لإنتاج الكهرباء. اقترحت عياط تحويل 4,8 مليارات دولار محتجزة (لولار) إلى 1,6 مليار دولار من الأموال الموجودة في مصرف لبنان كتوظيفات إلزامية (ما يُسمّى «احتياطي إلزامي»)، لإنشاء الشركة التي ستتبع الكهرباء إلى مؤسسة كهرباء لبنان، لمدة قد تصل إلى 20 عاماً، على أن تعود ملكية الشركة وممتلكاتها (معملي الإنتاج) إلى الدولة بعد تلك المدة. وعلى مدى السنوات العشرين، سيتقاضى المودعون ـ المساهمون أرباحاً تتيح لهم استعادة أموالهم المحتجَزة في المصارف.

يرى معدّو الاقتراح وداعموه أنه يحلّ أزمة الكهرباء، كما يحلّ أزمة المودعين. «لا يمكننا استخدام أموال الاحتياط الإلزامي إلا إذا انخفضت الودائع، وهذه الطريقة هي الأفضل لخفض الودائع واستخدام الاحتياطي، ويكون الجزء الأكبر من الأرباح للمودعين، على أن تعود الملكية في النهاية إلى الدولة». وماذا عن حقوق السحب الخاصة؟ «لا أريد أن يُقال إني ساهمت في تبديدها، فيما البلد بحاجة إلى كل دولار احتياط ولو كوسادة نضع عليها رأسنا. لكن ربما سنستخدم جزءاً من المبلغ للاستثمار في إنتاج الكهرباء، لأننا بحاجة إلى نحو مليازي دولار لنتمكّن من إنتاج كامل حاجتنا وقت الذروة».

إلى جانب كبار المودعين، سيخفف هذا المشروع الضغوط عن المصارف التي أعلنت قبل أسابيع خطتها لإنقاذ نفسها على حساب المجتمع. لا يرى ميقاتي أن البنوك اللبنانية قابلة للإصلاح، «هي بحاجة إلى إعادة بناء». فبحسب الأرقام الموجودة بين يديه، ربما أربعة أو خمسة مصارف ستتمكّن من النجاة من الانهيار. خطة المصارف، إضافة إلى خطة شركة لازار (مستشار الدولة) المعدّلة، كما خطة مصرف لبنان والورقة التي أعدّها فريق عمل ميقاتي، سيحيلها رئيس الحكومة جميعها على فريق عمل آخر، يرفض الكشف عن أعضائه، من أجل الخروج بخطة تعافٍ جديدة، ستُعرض بطبيعة الحال على صندوق النقد الدولي. وفي نظر نائب طرابلس، المسؤولية تتوزع على أربعة أطراف: الدولة، مصرف لبنان، المصارف، والمودعون. لكن، في شتى الحالات، الفئة الأخيرة «غير مسؤولة أبداً عن الانهيار. الناس وضعوا أموالهم في المصارف، والمصارف وضعت الأموال في مصرف لبنان وحققت الأرباح، ومصرف لبنان أغراها لتفعل ذلك، وثبّت سعر الصرف الذي طالبت به الحكومات المتعاقبة، ومَوّل الدولة».

خطة لازار التي سبق أن اعتمدتها الحكومة الرئيس حسان دياب، يرى ميقاتي وجوب تعديلها، «إذ كيف يمكن مستشار الدولة أن يعدّ لها خطة من دون الحديث مع مصرف لبنان والمصارف؟». ولأجل ذلك، «جرى تواصل بين لازار ومصرف لبنان الذي زوّدها بالأرقام التي تحتاج إليها، فضلاً عن لقاءات بين الشركة وجمعية المصارف».

رئيس الحكومة (للمرة الثالثة) يحمّل المسؤولية الأكبر عن الانهيار للدولة «التي لم تقم بأي إصلاحات»، وتمسّكت بسياسة تثبيت سعر صرف الليرة. إلا أنه لا يعفي حاكم مصرف لبنان من مسؤولياته عن الانهيار أيضاً، لكن «قانون النقد والتسليف لا يتيح للحكومة إقالته، إلا في حال صدر بحقه قرار قضائي يشتبه في ارتكابه جرماً، أو... إذا قرر الاستقالة بنفسه». حتى ذلك الحين، لن يتمكّن سلامة من تحسين سعر صرف الليرة مقابل الدولار، بخلاف ما قيل عن وعد قطعه لرئيس الحكومة بأن يبقى الدولار تحت سقف 12 ألف ليرة.

لا يبدو أن على جدول أعمال رئيس الحكومة، قبل إجراء الانتخابات، سوى مشروع الكهرباء ووضع خطة للإنقاذ والتفاوض مع صندوق النقد الدولي. المفاوضات مع الأخير لن تنتج اتفاقاً على برنامج، بل اتفاقاً أولياً يبدو أقرب إلى إعلان نوايا. وبموازاة ذلك، ستعمل الحكومة على زيادة الأجور: في القطاع الخاص، لا يمكن أن تقلّ الزيادة عن مليوني ليرة، على ألا تزيد على أربعة ملايين ليرة (أقل من 200 دولار). أما في القطاع العام، فستُقدّم «منحة شهرية» للموظفين، بناءً على الأرقام التي تعدها وزارة المال. في المقابل، سيرتفع الدولار الجمركي، «الذي يجب أن يكون مساوياً لسعر صرف منصة صيرفة». لكن يمكن البدء بزيادته إلى 10 آلاف ليرة. أما البطاقة التمويلية، فلن يبدأ العمل بها من دون تمويل!

وإضافة إلى الانهيار الذي لا تريد الحكومة مواجهته إلا بالحدّ الأدنى، ثمة ثلاث مسائل عالقة أمام «الدولة»:

ـ مسألة التحقيق في انفجار المرفأ التي يقول ميقاتي خلف الأبواب المغلقة ما يقوله بشأنها علناً، لجهة رفضه التدخّل في عمل القضاء. الجديد هو مطالبته التفتيش القضائي باستدعاء كل القضاة المعنيين ومساءلتهم لتحديد من خالف القانون منهم، واتخاذ إجراءات بحقه.

ـ ترسيم الحدود البحرية الجنوبية، التي وضع ميقاتي سقفاً لها هو الخط 23، مؤكداً أنه لن يوقّع على أي قرار يتنازل عن حق لبنان في مساحة 860 كيلومتراً مربعاً.

ـ الأزمة التي افتعلتها السعودية مع لبنان على خلفية تصريحات الوزير جورج قرداحي. في هذه القضية، ميقاتي يشجّع قرداحي على الاستقالة، وخاصة بعدما تبلّغ من دول عربية وغربية (الولايات المتحدة تحديداً) أن أي مسعى لحل الأزمة مع الرياض مشروط مسبقاً باستقالة قرداحي.

الحكومة لا تبدو أنها ستواجه الانهيار إلى درجة دخول مرحلة التعافي. أقصى الآمال التي يضعها رئيسها لها تتمثّل في أن يكفّ البلد عن السقوط، ويستقرّ في القاع، تمهيداً للإقلاع... بعد سنوات!

(هيثم الموسوي)

تقرير

ترسيم الحدود: المبعوث الأميركي سافر ولم يعد

لم تكن عابرة إشارة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، أول من أمس، إلى ملف ترسيم الحدود البحرية مع العدو. ولم تكن رسائله إعلامية لدى تحذيره المباشر للعدو من أن لبنان يملك قدرة على حماية مصالحه، لكن الجانب الآخر من كلام نصر الله يتعلق بسجال قائم محلياً حول كيفية التعامل مع الملف، وسط ضغوط أميركية كبيرة على لبنان لئلا يخذ بعضاً من حقه، ويترك المنطقة المتنازَع عليها إلى بحث آخر. ما يعني، عملياً، دعوة لبنان إلى التنازل عن كمية كبيرة من الحقوق في باطن البحر والأرض. وحجة الغربيين، كما بعض اللبنانيين، أن هناك حاجة إلى إقرار اتفاق، ولو أولي، يمكّن لبنان من الحصول على بعض الأموال للخروج من أزمته الخانقة.

رغم ذلك، وفي سياق الانطلاقة الجديدة لعمل المبعوث الأميركي (الإسرائيلي المولد والجنسية والهوى) عاموس هوكشتين على الملف، يبدو أن لبنان الذي اسمع الأخير كلاماً واضحاً، ولو مع بعض التناقض، لم يحصل على أي جواب قال المبعوث الأميركي إنه سيحصل عليه من العدو. إذ لم ترد أي رسالة من هوكشتين حول نتائج اجتماعاته نهاية الأسبوع الماضي مع المسؤولين الإسرائيليين.

وفي الموازاة، لم تتلقّ وزارة الخارجية اللبنانية، حتى اللحظة، جواباً عن رسالتين بعثت بهما إلى الأمم المتحدة للمطالبة بتحديد الموقع الذي بدأت شركة «هالبرتون» الأميركية أعمال الحفر فيه، والتأكد من أنه لا يقع في منطقة متنازع عليها، علماً بأن مسؤولين لبنانيين يشيرون إلى أن «الشركة الأميركية تحفر بعيداً عن الخط 29».

> **التسريبات عن نيّة هوكشتين إنهاء مهمّته محاولة للضغط على لبنان؟**

وتتردد في بيروت «تسريبات»، مصدرها الإعلام الإسرائيلي، عن أن «هوكشتين سينهي مهمته في حال عدم التوصل الى اتفاق خلال أشهر». في حين قالت مصادر مطلعة إنه «يعطي نفسه مهلة حتى موعد التوصل إلى اتفاق مع الحكومة الحالية». ورجّحت أن الحل الذي يحمله هوكشتين معه، ذهاباً وإياباً، لا يختلف عن فكرته القديمة، الهادفة الى انتزاع السيادة عن المنطقة المتنازع عليها، ووضعها تحت وصاية الشركات الأجنبية.

المصادر أكّدت أن «الجانب اللبناني، مع الاختلاف على بعض التفاصيل بين المسؤولين، أكد أن لبنان متمسك بالـ 860 كيلومتراً مربعاً، مع الاحتفاظ بحقه في ما يفوق الخط 23، وخاصة حيث هناك مكامن فيها غاز كحقل قانا المتداخل مع الحدود». وأشارت إلى أن الوسيط الأميركي «وعد بأنه سيستطلع موقف الجانب الإسرائيلي وسيسعى إلى إيجاد قاعدة مشتركة يُمكن الانطلاق منها».

ما بات محسوماً، أن الخط 29 (أي مساحة الـ 1430 كيلومتراً مربعاً الإضافية) لم تعُد موجودة في حسابات الدولة اللبنانية. هو أمر يتأكد يوماً بعد يوم من المعنيين الذين تقاطعت مواقفهم عند القول إن «هذا الخط لم يكن يوماً معتمداً بشكل رسمي، وأن الخط الذي تعتمده الدولة اللبنانية هو الخط 23 بفعل المرسوم 6433 الذي وقّعته حكومة الرئيس نجيب ميقاتي عام 2011. أما طرح الخط 29 فلم يكن سوى باب لتحسين شروط التفاوض.

أصحاب هذا الرأي يفترضون أن «تعديل المرسوم صار وراءنا»، ما يعني، عملياً، استبعاد انسحاب هوكشتين، و«الأمر لا يتعدّى محاولات للضغط على لبنان لتقديم تنازلات»، ولا سيما في هذه المرحلة الحرجة مالياً وأقتصادياً.

(الأخبار)

ابراهيم الأمين

البرغي

لم أكن يوماً مضلِّلاً، أو تعرضت للغش ولم أكن أعرفك. بل كنتُ أرى فيك صحافياً ناجحاً، وأقبلُك كما أنت. صحافياً نمت علاقاته المهنية والشخصية كغيره في ظل هذا النظام الذي تقول اليوم إنك ضده. لكنني أعرف، ولا ينتقص ذلك منك شيئاً، أنك لم تكن يوماً رأس حربة، لا ضد الوصاية السورية، ولا في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي. كما لم تكن يوماً رأس حربة في مواجهة الظلم والتعسّف والدولة الأمنية اللبنانية والعربية والدولية التي حكمت لبنان باسم التحقيق في جريمة اغتيال رفيق الحريري. ولا في مواجهة الفساد الذي أطل برأسه قبل وأثناء وبعد رحيل رفيق الحريري.

ولم أكن، كغيري، لأطالبك بما لا تريده أو لا قدرة لك عليه. لم يسألك أحد، في «الأخبار»، لا قبل 17 تشرين ولا بعده، عن علاقاتك الوطيدة بكل أركان النظام، من رؤساء جمهورية وحكومات ورئيس مستمر لمجلس النواب وحاكم دائم لمصرف لبنان، ولا عن علاقاتك الوثيقة بكل نادي الوزراء والنواب وقادة الجيش ورؤساء الأجهزة الأمنية وأركان «الاقتصاد الحر»، وبكل زعماء القبائل اللبنانية، والقيادات الحزبية على اختلافها. كما لم يسألك أحد عن نفوذك القوي في قلب الدولة العميقة التي أدارت البلاد ولا تزال، والتي قرّرت أنت، في لحظة ما، الثورة ضدها.

حتى في سياق عملك المهني مع بيار الضاهر، الرجل الذي حار ودار ولم يتوقف عن القيام بكل ما يقنع أو لا يقنع، لحماية المؤسسة، كنت أنا ممن يحترمون حقّك في الحفاظ على مسافة تقيك شرّ الظلم المهني، وتمنحك عدلاً حتى في العقد المالي الموجّه مع هذه المؤسسة، وما كان أحد يلومك على كل أنواع التسويات التي أبرمتها باعتبارها حقاً لك.

وعندما كتبتُ دفاعاً عنك في «الأخبار»، قبل تسع سنوات، في وجه من أراد النيل من حريتك، لم أفعل ذلك محاباة أو مراضاة، وأظنّك تعرفني جيداً، وتعرف أنني ما كنت لأقف صامتاً عندما يصيب الظلم أياً كان. أنت شخصياً، تعرف، عن قرب، موقف سعد الحريري مني

> **وحْدنا في «الأخبار» دافعنا بقناعة عن سعد الحريري يوم اعتقله الدبّ الداشر، بطل العروبة الأغرّ كما تصورونه في قناتكم اليوم، بينما ران الصمت على كل المنصات**

شخصياً ومن الجريدة. مع ذلك، وحْدنا في «الأخبار» دافعنا عنه يوم اعتقله الدبّ الداشر، بطل العروبة الأغرّ كما تصورونه في قناتكم اليوم. فعلنا ذلك عن قناعة، بينما ران الصمت على كل المنصات، بما فيها حيث كنت تعمل، وحيث تعمل اليوم.

لكن، ثمة ما تغير فيك يا عزيزي، ومنذ ما قبل مغادرتك المؤسسة اللبنانية للإرسال. ما تغير لم يكن (فقط) تعبيراً عن طموح مهني محقّ في تطور تطمح إلى تقديمه، بل هو أنك قررت في لحظة سياسية ومهنية ومالية - وهذا خيارك الحر أيضاً - أن تنتقل إلى ضفة لها وجهها الأكثر وضوحاً في الإعلام، وفي السياسة والاقتصاد والاجتماع أيضاً. قرّرت أن تطلّ، هذه المرة، من بوابة مفتاحها في يد شاب تعرف، وأعرف، ما الذي جرّب فعله في العديد من المحطات، حتى إبان اعتقال صديقك الحريري الذي لم تنتفض يومها من أجل حريته الشخصية أو دفاعاً عن كرامة بلدك. مع ذلك، لن ألومك على عدم الإقدام على فعل لست مقتنعاً به، أو لا قدرة لك عليه.

ما حدث، يا عزيزي، أنك انضممت إلى ماكينة تعرف مسبقاً إلى أين تقود. وصدمتي أنك قبلت بأن ينتهي بك الأمر مجرد «برغي» في ماكينة صدئة لا تملك فكرة أو قولاً أو عملاً أصيلاً، وقبلت الانضواء في برنامج قاده أنطون الصحناوي الذي رتّب كل عملية انتقالك إلى محطة الـ«مر تي في». وأنت تعرف، أيضاً، أن أل المر لا يفعلون سوى بيع الهواء. ويسرقون الأفكار مما هو رائج في الغرب، كما سرقوا الإنترنت والاتصالات أيضاً بحسب التحقيقات والأحكام القضائية. وهم اليوم يعرضون منصتهم لمن يدفع أكثر. ولا مانع لدى ابن المر في أن يختار الشاري الآلية التي تناسبه للتمويل، مباشرة أو عبر رعاية إعلانية أو غيرها. فالمهم، بالنسبة إليه، هو أن يحتل الموقع الأول في عالم «التنفيه» لا «الترفيه»، على ما كان يقول الراحل رمزي نجار.

لكن الرجل لم يعد يكتفي بذلك. ولو أنك قرأت تفاصيل مفاوضاته مع السعوديين لبيعهم حصصاً في قناته، لكنت عرفت، وأعتقد أنك تعرف جيداً، مع من تعمل. فالرجل اليوم مصاب بعارض أصاب كثيرين في لبنان. من المخلّص سمير جعجع الذي أرسله الله لتطهيرنا من خطيئتنا الأصلية والمستمرة فينا، مروراً بالمحقق العدلي الذي نزل عليه وحي إلهي بإنقاذ لبنان من الفاسدين والزعران، وصولاً إلى «الثائر» ميشال المر الذي لن يقبل بأقل من كتلة نيابية يقودها من أجل تحرير لبنان من الاحتلال الإيراني، بعدما قاد عملية تحرير لبنان من الاحتلال السوري... ألم يقل هو ذلك؟

لم أكن يوماً مضلِّلاً حيالك. تعلم جيداً أنني أعرفك، وأعرف من أي بيت خرجت، لذلك أحزن على ما آلت إليه أمورك، وعلى أنك صرت واحداً ممن يرى فيهم الناس بومة تحرض على الفتنة. كما أحزن كيف تعطينا درساً في أصول العمل الصحافي، من دون أن تكلّف نفسك التدقيق قليلاً قبل استقبال «شاهد» مسكين أنقذه تقرير طبي من ورطة كان برنامجك مدخلاً لها.

ثم، هل أنت مقتنع حقاً بأن السعودية وسفارتها في بيروت ومخابراتها المتخلفة لا تقرّر كل كبيرة وصغيرة ليس في قناتك فحسب، بل في كل النادي السياسي الذي انضممت إليه من دون مقدّمات؟

ألا تعرف أنت، وتفصيلياً، عن دور السفارة الأميركية في عوكر، ومسؤولين في واشنطن من أصدقاء الصحناوي، في رعاية «إعلام التغيير»، ومنه القناة التي تعمل فيها، وتوفير التمويل، رغم أن بين الأميركيين، في بيروت وفي واشنطن، من لا يستهضم ابن المر نفسه. ومع ذلك، يساهمون في تمويل ودعم «التدريب على الديموقراطية» في الإعلام اللبناني، وفي برنامجك بالتحديد. وهل تعتقد أن الوثائق التي تكشف عمليات التمويل والتجنيد، ولو صُنّفت على أنها فائقة السرية، عصية على أن تصبح متاحة بفعل قوانين وقواعد وأعراف... وفوق ذلك بقدرة وإصرار من يريد أن يعرف أيضاً...

ألم تسأل نفسك يوماً، أو هل حاولت أن تعرف، عن مصير الداتا التي تخص كل من يريد المشاركة في البرنامج حضوراً أو مساهمة في صفوف الجماهير - عفواً الجمهور. لن أسألك عن كيفية الاختيار بينهم، لكنني أسألك إن كنت تعلم بمصير الداتا - وما هو أكثر - التي تحوي الأسماء، وأرقام الهواتف وعناوين البريد الإلكتروني الخاصة بهم، والتفاصيل الخاصة بميولهم السياسية وطوائفهم ومذاهبهم وتعليمهم وأين يعيشون وماذا يعملون؟

هل فكرت من يستعمل هذه الداتا، وكيف صُرف جزء منها في حراك تشرين وما بعده في المجموعات التي نبتت كالفطر، و«صودف» أن الثائر الأممي ديفيد شينكر، ومن سبقه وخلفه، ظلوا يعملون على الاستثمار فيها؟

ألا تعرف أن كل البرنامج الأميركي عندما تقرر تفعيله في لبنان وتمت ترجمته إعلامياً عبر أشكال مختلفة في مقدمها رعاية «قنوات الفتنة»، كانت المهمة وحيدة، وعنوانها أوضح من الشمس: شيطنوا حزب الله وما يسمى المقاومة وأنصارها، واضربوا التيار الوطني الحر من ميشال عون وجبران باسيل إلى آخر نصير لهم، وأصرخوا عالياً، ولو شمل سبابكم غالبية الشعب اللبناني.

لماذا يهتاجون لتحقيق هذا الهدف، وهل من مشكلة عندهم مع المقاومة غير أنها تهزم إسرائيل وتقاوم بقية الهيمنة الأميركية في بلادنا، وتتصدى لشياطينهم؟

وهل أنت مقتنع فعلاً بأن برنامجك لم يتحول منصة لشعارات وأحقاد تعيدنا إلى أيام المحافظين الجدد الذين أرادوا تغيير وجه الكون بعد 11 أيلول؟ ولا بأس لو سُمح لك، نعم لو سُمح لك، بتلوين المشهد بأصوات «الرأي الآخر»، على طريقة ما فعلته القنوات التي فتحت باب التطبيع مع العدو. ألم أنك تصدق الرواية عن تدريب الشباب اللبناني على الحوار والديموقراطية، وصرت تعتقد فعلاً أنك صاحب دور استثنائي لا يقتصر دوره على صداقة الطبقة السياسية، بل على صناعة بديلها أيضاً.

اقرأ الفقرة التالية وابحث عن مصدرها - وأعتقد أنه ليس مستحيلاً عليك العثور عليه، أما بقيتها فجرّب حظك – وفيها يرد الآتي: «يأمل مارسيل غانم والـ mtv بأن نشر ثقافة المناظرة في لبنان وإثبات قدرة التلامذة على النقاش سيفسحا المجال لاستضافة أولى المناظرات في لبنان بين القيادات السياسية الوطنية قبيل الانتخابات النيابية القادمة التي يفترض أن تقام في عام 2022».

أسفي عليك كبير لأنك قبلت أن تكون «برغياً» في ماكينة صدئة، لن تنفع أموال الدنيا في إعادتها إلى العمل. وإذا كنت لا تجيد القراءة، وهذا أمر غريب عليك، فتذكّر بأن ما أشرتُ إليه في مقالتي عن دور وليد البخاري لا صلة له بالفيديو الذي وُزّع بعد الحلقة، وأنت تعرف أنني لست بالخفة التي تجعلني أصدق كل ما يشاع من هنا أو هناك، ولديّ مثلك، أو أقل منك، خبرة في كيفية إدارة الحلقات عن قرب أو عن بعد. ويمكنك أن تسأل العزيز جورج، الذي حدثته عن الحلقة وعن الفيديو نفسه، وكررتُ على مسامعه ما قلتُه له مرات ومرات من ملاحظات كنت أشعر دوماً أنني ملزم بها من باب الحرص. وأقرّ هنا، علناً، بأنني أهملت من تسريبات «أقبية السو» في ممالك القهر والإذلال، ما كتبه سفراؤهم أو نسبوه إلى غيرهم، قولاً وتوصيفاً وتقديرات... أهملتُ عن وعي كل ما قد يشكّل إساءة لك، وخاصة أنني أحفظ للراحلة والدتك، ولو عن بُعد، مكانتها الخاصة، كما حفظت الودّ لجورج ودوللي، ولك أيضاً.

أما وأنك تلبّستَ دور البطل القادر على هزم جيوش وتحرير البلاد وقيادة العباد إلى الصالح، وقررتَ دخول معركة تستخدم فيها ما تعتقد أنه حق لك، واستليت من الكلام سيوفاً أثقل من قدرتك على حملها، وشتمت وحقّرت واستخدمت ما وجدته مناسباً في القول والنبرة والاتهام... فلا مانع من المنازلة.

لكن، نصيحتي لك، احصر معركتك معي ومع «الأخبار»، ولا تقحم حزب الله في الأمر. وأنت، كما جورج، والبقية، تعرفون جيداً على أي أرض أقف أنا ورفاقي. كل ما أنصحك به هو التالي: واجهني مباشرة، وها أنا أبلغك مسبقاً بأن ليس في مقدورك اختيار المسرح والتوقيت والطريقة. وبما أننا نعمل في منصات تمثل كل أسلحتنا، فدعوتي لك بأن تكون في المرات المقبلة أقل توتراً وأكثر استعداداً!

على الغلاف

فنون «السياديّين» في الشحادة وتنويع مصادر التمويل

إذا شحّت أموال السعودية والإمارات... إلى الكويت دُرْ!

وفيق قانصوه

لا يفوّت «السياديون» اللبنانيون، أحزاباً وإقطاعيين وميليشيات ومنظّمات مجتمع مدني، مناسبة من دون أن يصمّوا أسماع اللبنانيين بالحرية والسيادة والاستقلال، آخذين على حزب الله «تمويله وتسليحه إيرانياً»، وهو ما لم يُخفه الحزب يوماً على لسان أرفع مسؤوليه. علماً أن هؤلاء، على ما كشفت وثائق «ويكيليكس»، لم يتوانوا يوماً عن الارتزاق وتسوّل التمويل الخارجي بوقاحة. عارضين خدماتهم، وفي مقدمها دائماً مواجهة حزب الله. فعلى سبيل المثال، أرسل السفير السعودي الأسبق في بيروت علي عواض العسيري برقية (https://www.wikileaks.org/saudi-cables/html.doc53032) إلى وزارة خارجية بلاده، عام 2012، جاء فيها أنه استقبل «موفداً من قبل رئيس حزب القوات اللبنانية، وتحدّث عن صعوبة الأوضاع المالية التي يعيشها حزبهم بمتطلّباته، ولا سيما في ضوء مواقف السيد سمير جعجع الموالية للمملكة والمدافعة عن توجهاتها»، مشيراً إلى دفاع جعجع عن فتوى أصدرها مفتي جعجع (...) والسيد سمير جعجع جاهز للسفر إلى المملكة لعرض وضعهم المالي المتدهور على القيادة في المملكة». ولفت العسيري إلى أن القوات اللبنانية «هي القوة الحقيقية التي يُعوّل عليها لردع لحزب الله ومَن وراءه في لبنان»، موصياً «بتقديم مساعدة مالية» لقائد القوات، «تفي إلى حدّ باتوا عاجزين معه عن تأمين رواتب العاملين في الحزب، وتكاد تصل بهم الأمور إلى العجز عن الوفاء بتكاليف حماية رئيس الحزب سمير جعجع (...) والسيد سمير جعجع جاهز للسفر إلى المملكة لعرض وضعهم المالي المتدهور على القيادة في المملكة». ولفت العسيري إلى أن القوات اللبنانية «هي القوة الحقيقية التي يُعوّل عليها لردع لحزب الله ومَن وراءه في لبنان»، موصياً «بتقديم مساعدة مالية» لقائد القوات، «تفي بمتطلّباته، ولا سيما في ضوء مواقف السيد سمير جعجع الموالية للمملكة والمدافعة عن توجهاتها»، مشيراً إلى دفاع جعجع عن فتوى أصدرها مفتي جاهز للسفر إلى المملكة لعرض وضعهم المالي المتدهور على القيادة في المملكة». ولفت العسيري إلى أن القوات اللبنانية «هي القوة الحقيقية التي يُعوّل عليها لردع لحزب الله ومَن وراءه في لبنان»، موصياً «بتقديم مساعدة مالية» لقائد القوات، «تفي بمتطلّباته، ولا سيما في ضوء مواقف السيد سمير جعجع الموالية للمملكة والمدافعة عن توجهاتها»، مشيراً إلى دفاع جعجع عن فتوى أصدرها مفتي

سامي الجميل: أنا التغيير فادعمونيو!

يبدو رئيس حزب الكتائب اللبنانية سامي الجميل مهجوساً بـ«مؤامرة» يتعرّض لها لتهميشه وحزبه. غضبه، بالطبع، ينصبّ على حزب الله و«تحكّمه بمفاصل الدولة»، ولكن أيضاً على من يشنّون عليه «حرب إلغاء»، مروّجاً بأن المستقبل في الشارع المسيحي له ولحزبه «التغييري»(!)، لا للقوات وقائدها سمير جعجع ولا للتيار الوطني الحر ورئيسه جبران باسيل.
في 1 أيلول 2020، زار الجميّل، برأفقه عضو المكتب السياسي في الحزب الوزير السابق الآن حكيم والنائب المستقبل الياس حنكش، سفير الكويت في بيروت عبدالعال سليمان القناعير.
في اللقاء، قدّم رئيس حزب «الله والوطن والعائلة» رؤيته للوضع السياسي القائم في لبنان، مركّزاً على ما يلي:
- انطلاقاً من المواقف التاريخية للحزب في التعامل في الأزمة اللبنانية على امتداد المراحل الماضية، شدّد الجميل على تمسّك الكتائب بالثوابت الأساسية، ومنها الوقوف في وجه التدخلات الخارجية في شؤون لبنان. ولفت إلى أنه كان للكتائب دور بارز ضد الوجود السوري في لبنان، وأن الحزب كان من الأعمدة الأساسية لقوى 14 آذار، وقدّم تضحيات إلى جانب القوى الحليفة، من جملتها النائبان الراحلان بيار أمين الجميل وانطوان غانم.
- شدّد الجميّل على أن الحزب عارض ويعارض السياسات التي ينتهجها حزب الله على صعد عدة وانخراطه في صراعات إقليمية.
- توقّف رئيس الكتائب عند افتراق حزبه عن قوى أساسية في 14 آذار عندما وافقت هذه القوى على التسوية الرئاسية بين العماد ميشال عون والرئيس سعد الحريري، والتي أوصلت عون إلى رئاسة الجمهورية. ولفت إلى أن موقف الكتائب بالامتناع عن التصويت على انتخاب عون ناتج عن قناعتها بأن عهد عون سيمكّن حزب الله من إحكام سيطرته على مفاصل الدولة اللبنانية.
- أشار الجميّل إلى أن الكتائب، منذ ذلك الحين، تتعرّض لـ«حرب إلغاء» من أطراف عدة، ولا سيما من حلفائها السابقين، وتحديداً القوات اللبنانية، رغم أنها أيّدت في وقت من الأوقات تسمية سمير جعجع للرئاسة. وقد تُرجمت هذه الحرب في الانتخابات النيابية عام 2018، بـ«محاولة إسقاط» مرشحي الكتائب ومرشحين آخرين معارضين للتسوية الرئاسية.
- لفت «فتى الكتائب» إلى أن حزبه، انسجاماً مع مواقفه المعلنة ضد السلطة القائمة «التي يتحكّم بها حزب الله»، عمل لمنع تأمين النصاب لجلسة مجلس النواب الرامية إلى منح الثقة لحكومة حسان دياب، بينما بات نواب «القوات اللبنانية» لبلة الجلسة في المجلس لتأمين النصاب.
- أكّد الجميّل أن التجربة أثبتت صوابية مواقف الحزب في النظرة إلى التسوية الرئاسية وتداعياتها، ولا سيما بعد كارثة انفجار مرفأ بيروت، وأن هذه المواقف تركت أصداء إيجابية واسعة على الصعيد الشعبي.
- اعتبر رئيس الكتائب أن مجلس النواب بات «مخطوفاً من حزب الله»، واستدلّ على ذلك بأن اقتراح الدعوة إلى انتخابات نيابية مبكرة لم يحظ بتأييد سوى 15 نائباً فقط، في حين لم يحصل طلب انعقاد جلسة لمساءلة الحكومة وطرح الثقة بها إلا على تأييد 10 نواب، بسبب استحواذ حزب الله وحلفائه على الأكثرية النيابية، إلى جانب تيار المستقبل وكتلة القوات اللبنانية. وهذا ما دفع نواب الكتائب لتقديم استقالاتهم أملاً في سلوك مسار جديد من خارج البرلمان.
- توقّع الجميّل بدء تراجع التأييد الشعبي لكل من التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية في السنوات العشر المقبلة، إذ أن التيار مبنيّ على شخصية جبران باسيل «المكروه» سياسياً وشعبياً. فيما تقوم القوات اللبنانية على شخص جعجع وليس على بنية مؤسسية.
- توقّع رئيس الكتائب أيضاً تغييراً ملموساً في تركيبة مجلس النواب بنسبة تصل إلى 30% في حال إجراء انتخابات نيابية مبكرة، وأوضح أن الكتائب تستعد لهذه المرحلة من خلال اجتماعات مع وجوه شبابية ذات حضور ميداني ونواب مستقلين، وقد يتم الإعلان عن «جبهة موحّدة» في هذا الإطار.
- شدّد الجميّل على أهمية الرهان على جمهور 14 آذار وإعادة استنهاضه للوقوف في وجه الطبقة الحاكمة، «وهذا يتطلب تكاتف جهود محلية، إلى جانب توافر دعم خارجي». وهنا سجّل الجميل «عتباً» على الدول الصديقة للبنان التي لا تقدم ما يكفي من دعم للقوى «التغييرية»، ومنها حزب الكتائب، ما يسهم في إحباط هذه القوى، أملاً في أن تتبدّل هذه المقاربة مستقبلاً.
هذه المطالعة السياسية المطوّلة، أنهاها زعيم حزب الكتائب «التغييري» بالإعراب عن أمله بأن يحظى بصورة خاصة بالدعم والاحتضان من دولة الكويت، مستذكراً «العلاقات التاريخية بين القيادة الكويتية وعائلة الجميل».

القوات «تنوّع» مصادر «الدخل»!

سمير جعجع هو اليوم «رجل الرياض» الأول في لبنان بلا منافس، والوحيد الذي لم تنقطع عنه حنفية المساعدات. إلا أن مزاجية حاكم السعودية محمد بن سلمان لا تطمئن. و«دروس» سعد الحريري ماثلة أمام الجميع. لذا، لا بأس من «تنويع» مصادر الدخل لتوفير «الأمان المالي» وفق قواعد الاقتصاد. لذلك، تتحرك «القوات اللبنانية» عبر واجهات عدة لتوفير التمويل لمؤسساتها التي تقدم خدمات لقاعدتها الانتخابية. ومن هذه الواجهات «مؤسسة جبل الأرز» برئاسة النائبة ستريدا جعجع التي تستخدم العلاقات العامة مع جهات خارجية من أجل الحصول على أموال بعنوان «تمويل مشاريع» بعينها.
مطلع تشرين الثاني 2020، وجّهت رئيسة «مؤسسة جبل الأرز» رسالة (انظر الإطار) إلى المدير العام للصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية عبد الوهاب أحمد البدر تطلب فيها النظر في إمكانية تقديم الصندوق الكويتي الدعم لأحد مشاريع المؤسسة المتعلق بتأهيل المرحلة الأخيرة من مستشفى «أنطوان الخوري ملكة طوق - بشري الحكومي»، مشيرة إلى أن المستشفى يؤمّن الطبابة لأهالي المنطقة والنازحين السوريين. ووفق مصادر مطّلعة على الموضوع، قدّرت جعجع قيمة التجهيزات المطلوبة لتأهيل المبنى في إطار هذه المرحلة بـ«560 ألف دولار»، وطلبت توفير المبلغ بالدولار على حساب مؤسسة جبل الأرز في «بنك بيبلوس - فرع ذوق مصبح».
وبمراجعة للمنح الواردة إلى مجلس الإنماء والإعمار في لبنان، تبيّن أن المجلس حصل على موافقة الصندوق الكويتي للتنمية على تمويل تجهيز مبنى ملحق بمستشفى بشري الحكومي، على أن تُحتسب الكلفة من ضمن منح أوسع بقيمة 30 مليون دولار خصّصتها الكويت للبنان خلال مؤتمر بروكسل في آذار 2019 لدعم الشعب السوري والبلدان المتضررة من النزاع في سوريا. والسؤال هنا: لماذا تستحوذ مؤسسة خاصة على طلب أموال موجّهة إلى مشروع حكومي طالما أن مجلس الإنماء والإعمار هو الجهة المعنية بالموضوع؟ والسؤال الأهم: هل حُوّلت الـ 560 ألف دولار «كاش» إلى رقم الحساب الذي أرفقته جعجع برسالتها؟

جنبلاط: 2,5 مليون دولار يا محسنين!

في مقابلته التلفزيونية قبل يومين، اتّهم رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط حزب الله بأنه «خرّب بيوت اللبنانيين في الخليج»، مقترحاً «وصفة» لحلّ الأزمة التي افتعلتها الرياض، بدعوة وزير الإعلام جورج قرداحي إلى الاستقالة، ولبنان إلى «الاعتذار من الخليج»، لا من السعودية وحدها.
هذه الدعوة يفسّرها استنفار جنبلاط طاقته «الدبلوماسية»، في زمن «القحط» السعودي، لطلب التمويل من حكومات وصناديق دعم عربية لمصلحة مؤسسات وجمعيات يرعاها حزبه، ويقول إنها تقدم خدمات اجتماعية لعدد كبير من المواطنين.
في 20 أيار 2020، وجّه جنبلاط رسالة (انظر الإطار) إلى أمير الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أبدى فيها الأمل بأن يحظى بدعم مالي لحساب «مؤسسة الفرح الاجتماعية» (مقرّها وطى المصيطبة). وبحسب مصدر مطلع، أرفق زعيم المختارة رسالته بجدول أعدّته المؤسسة عن مساعدات تقدمها «للعائلات الأكثر حاجة، إضافة إلى توزيع الشتول والبذور والآلات الزراعية على المزارعين في مختلف المناطق اللبنانية والمشاتل والمزارع في أقضية الشوف وعاليه وراشيا ومشروع دعم الصناعات الخفيفة». وقُدّر المبلغ المطلوب لوفاء المؤسسة بهذه «الالتزامات» بـ 2,5 مليون دولار أميركي. وطلب رئيس الحزب إرسال المبلغ على حساب بالدولار باسم الجمعية في بنك بيروت والبلاد العربية – فرع رياض الصلح في بيروت.
رسالة جنبلاط جاءت رغم تبلّغه، مطلع عام 2020، قرار الكويت إلغاء دعمها المالي الذي تمنحه لـ«مؤسسة وليد جنبلاط للدراسات الجامعية» و«جمعية أمان لدعم المريض»، بسبب النشاط السياسي للقائمَين عليهما، وهم: رئيس المؤسسة ظافر ناصر (أمين السر العام في الحزب التقدمي الاشتراكي، ونائبة رئيس المؤسسة ديانا زعيتر جنبلاط (زوجة النائب تيمور جنبلاط)، ورئيس «جمعية أمان لدعم المريض» النائب هادي أبو الحسن. والقرار نفسه تبلّغته أيضاً جمعيات أخرى مثل «مؤسسة جبل الأرز» التي ترأسها النائبة ستريدا جعجع بهذا القرار.
وعزت السلطات الكويتية هذا التوجه إلى الحرص على إبعاد العمل الإنساني الذي تقوم به مؤسساتها عن أي استقطابات سياسية وطائفية في الساحة اللبنانية، عبر دعم جمعيات خيرية تابعة لمسؤولين في الأحزاب السياسية، كما شدّدت على ضرورة إخضاع تمويل هذه الجمعيات لمعايير مجموعة العمل المالي (FATF) التي تتطلب اتخاذ تدابير في ما يتعلق بالسياسيين الذين يمثلون مخاطر معينة.
وبعد مراجعات عدة، أُمهلت هذه الجمعيات حتى نهاية شباط 2021 لإجراء تعديلات تفضي إلى التقيّد بالمعايير المشار إليها.

رسالة جنبلاط

حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت
تحية طيبة وبعد
أتوجه إليكم بأصدق التحيات وأطيب التمنيات بدوام الصحة والعافية راجياً الله عزّ وجلّ أن ينعم عليكم وعلى دولة الكويت الشقيقة بالخير والبركة والأمان، كما أتقدم من سموكم بجزيل الشكر والتقدير لدوركم الرائد والكبير على كافة المستويات، ولا ننسى أبداً وقوفكم إلى جانب لبنان في كل المراحل والأزمات التي مرّ بها، وحرصكم الدائم ومحبتكم ودعمكم للبنان واللبنانيين، ونسأل الله أن يوفّقكم ويسدد خطاكم ويجازيكم خيراً على كل ما تقومون به خصوصاً في ظل الأزمة الكبرى الناتجة عن جائحة كورونا وتداعياتها، والتي تزيد المصاعب الاقتصادية وتفاقم الأزمات الاجتماعية، بالإضافة إلى ما يعانيه وطننا لبنان من أزمات أخرى، ما يجعلنا نقوم بواجبنا الوطني والإنساني لمساعدة الناس وإغاثة المحتاجين. وفي هذا السياق نتطلع إلى مزيد من التعاون معكم خصوصاً في هذه الظروف الحرجة التي يمر بها وطننا لبنان من أجل تخفيف الأعباء والمعاناة عن المواطنين دون تفرقة أو تمييز.
ودمتم ذخراً لكل عمل إنساني خيّر
مع خالص الشكر والتقدير
وليد جنبلاط

رسالة جعجع

حضرة السيد عبد الوهاب البدر المحترم،
مدير عام الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية،
بعد التحية،
إن مؤسسة جبل الأرز، هي مؤسسة لا تبغي الربح، تأسّست سنة 2007، وهي تخضع للتدقيق المالي الدولي، من المشاريع التي أطلقتها إنشاء بيت للطالب الجامعي في منطقة ضبيه، لمساعدة طلاب لبنان الذين لا يملك أهاليهم مساكن في العاصمة، ويحتوي هذا البيت على 241 سريراً، وقد افتُتح سنة 2018.
منذ انتشار جائحة كورونا، وبسبب عجز الدولة عن القيام بمسؤولياتها، أخذت مؤسسة جبل الأرز على عاتقها تأهيل المرحلة الأخيرة من مستشفى أنطوان الخوري ملكة طوق – بشري الحكومي، كون المستشفى الموجود حالياً في مدينة بشري لا يكفي حاجات منطقة بشري بشكل خاص، ومنطقة الشمال بشكل عام، وفي وقت لعب دوراً في تأمين الطبابة لأهالي المنطقة وللنازحين السوريين، بما فيها محاربة جائحة كورونا.
في 21 نيسان 2020، عقد نائبا منطقة بشري ستريدا جعجع وجوزاف اسحق مؤتمراً صحافياً لجمع التبرعات، وتمكنت المؤسسة من جمع مبلغ مليون ومئتي ألف دولار أميركي من الخيّرين من أبناء منطقتَي بشري والشمال مقيمين ومغتربين.
بعد التواصل مع النائب البطريركي العام على جبة بشري المطران جوزاف نفاع، قدّمت الكنيسة المارونية بإيعاز من غبطة البطريرك مار بشارة بطرس الراعي كامل المبنى بنفس قيمة الإيجار الحالي والمحدد بطابقين فقط. كذلك، قدّمت شركة خطيب وعلمي ممثّلة بالمهندس سمير الخطيب، كل الدراسات الهندسية والإشراف مجاناً، كما قدّم المتعهد المهندس مارون حلو أرباحه من المشروع. وبعد التواصل مع المورّدين، قدّم أكثريتهم أرباحهم أيضاً. بعد الانتهاء من تأهيل المبنى، يبقى بحاجة إلى تجهيزات ضرورية، كالمصاعد والـ Electro Mechanical والـ Medical Gaz ليصبح بالإمكان تشغيله.
لذلك، وبعد استفحال جائحة كورونا من جديد، وكما عودتمونا في السابق على دعمكم للبنانيين عموماً، ومنطقة الشمال خصوصاً، جئنا بكتابنا هذا نطلب دعمكم بمبلغ تقريبي //560,000// دولار أميركي، لتأمين التجهيزات الآنفة الذكر، ولكم كل الشكر باسم أهالي منطقة الشمال عموماً ومنطقة بشري خاصة، وباسم زميلي جوزاف اسحق وباسمي.
مرفق ربطاً رقم الحساب.
وتفضّلوا بقبول فائق الاحترام
رئيسة مؤسسة جبل الأرز
النائب ستريدا جعجع

في الواجهة

تفسير الغالبيّة: نصاب القانون أم نصاب الرئاسة؟

على الطريقة اللبنانية، ليس كل ما هو سياسي دستوريًا ولا ينبغي أن يكون. لكن حال البلاد جعل كل ما هو دستوري سياسياً. ذلك ما يُفترض أن يصحّ على المجلس الدستوري في ما ينتظره من فرط الفساد المهني. بات صعباً على العباد تمييز الدستوري عن السياسي

نقولا ناصيف

قبل الوصول الى تقديم كتلة لبنان القوي مطلع الأسبوع مراجعة طعن في مواد عدة في قانون الانتخاب، المعاد إقراره في جلسة مجلس النواب في 28 تشرين الأول، تكثر الإيحاءات بأن مصير الانتخابات النيابية العامة المفترض أنها ستجرى في 27 آذار معلّق على قرار المجلس الدستوري. في ضوء أولى جلساته، ما إن يصبح القانون المطعون فيه تحت ولايته، يقتضي بالمجلس الدستوري تقرير تعليق تنفيذه جزئياً أو كلياً، قبل أن ينبط بالمقرّر المعيّن وضع تقرير به. ما سيكون أساسياً في قرار التعليق الجزئي المرجّح، هو السياسي لا الدستوري في المهمة الجديدة للمجلس، وخصوصاً أنه مدعوّ الى بتّ مسألتين ليستا الأكثر سياسية من حولهما بين الرئاسات كما بين القوى المؤيدة لها: موعد إجراء الانتخابات في 27 آذار 2022، وتفسير نصاب الغالبية النيابية في مقاعد مجلس النواب. وهي المرّة الأولى التي يدعى فيها المجلس الدستوري الى تفسير مباشر للدستور في المشكلة الأساسية المنطوية عليها مراجعة الإبطال، وليس من طريق جانبية استطرادية. صلاحية كهذه كانت قد منحته إياها الإصلاحات السياسية في اتفاق الطائف، ثم نزعها منه مجلس النواب لدى مناقشتها في جلسة 21 آب 1990، وعدّ نفسه المرجعية الصالحة لتفسير الدستور ما دام صاحب صلاحية تعديله.

في الغالب في صلب مهماته، لا يسع المجلس الدستوري تأكيد دستورية قانون مطعون فيه، إلا في ضوء تفسيره مواد الدستور. إذ يصبح تفسيره ــ وأحياناً التوسّع في التفسير ــ جزءاً لا يتجزّأ من آلية النظر في القانون. ذلك ما فعله عندما فسّر مرةً تلو أخرى، في قرارات عدة، الفصل ما بين السلطات وتوازنها وتعاونها، وتمييز إصدار القانون عن نشره، والمساواة الواجبة والملزمة في قوانين الانتخاب، والتصويت على القوانين في مجلس النواب وفق المادة 36. هذه المرة، الأولى، يجبه المجلس الدستوري المادة 57 كأعتى مواد الكتاب، القابلة للتأويل والاجتهاد والخلاف، وأحياناً التذاكي والتزوير تبعاً للمتلاعبين بها، شأنها شأن المادة 49. الواضح أيضاً أنهما ستكونان مترابطتين في المشكلة الناشئة حديثاً.

(هروان بو حيدر)

للمرة الأولى يدعى المجلس الدستوري إلى تفسير الغالبية النيابية

ما يصحّ قوله الآن، وصحّ على الدوام في الماضي منذ وضع الدستور اللبناني عام 1926، ثم تعديله في السنة التالية، أن المادة 57 في التعديل غير المادة 57 في النص الأصلي في تاريخ لبنان، لا تعدو كونها جزءاً لا يتجزّأ من نظام الحكم والتقاسم منذ اتفاق الطائف، سواء بالأعضاء الخمسة المنتخبين في مجلس النواب، ثم بالخمسة المعيّنين في مجلس الوزراء.

على مرّ هيئاته المتعاقبة منذاك، لم يسع المجلس الدستوري إلا أن يكون على صورة مرجعية السلطة السياسية التي اختارت أعضاءه. كذلك في الأزمات التي جبهها، كان على صورتها تماماً كجزء من الانقسام السياسي. أولى علاماته المخيّبة استقالة رئيسه ــ أول رئيس لأول مجلس دستوري ــ وجدي الملاط عام 1997 احتجاجاً، وبالكاد عمر المجلس ثلاث سنوات، بعدما سبقه لسنة خلت إخراج المجلس حلاً استثنائياً لإجراء انتخابات 1996 أنجد السلطة اللبنانية الحاكمة آنذاك، المصرّة على إجرائها وفق قانون بلا معايير. ثم صار الى أول تعطيل لدوره عام 2005 على إثر الانتخابات النيابية، لوفرة الطعون في انتخاب نواب محسوبين على رجالات الحقبة الجديدة، فشُلّ عمله. ثم كان أحد آخر مشاهد التلاعب بالمجلس عام 2013، بتعطيل نصاب انعقاده في موعد المذاكرة، بعدما تأكد أنه سيُبطل قانون تمديد ولاية البرلمان، بفرض تغييب ثلاثة من أعضائه، حيل دون المذاكرة، ومن ثم فرض نفاذ القانون.

ليست المهمة الجديدة للمجلس الدستوري، تبعاً للطعن المتوقع تقديمه، سوى تكرار لأزمة قديمة مرتبطة بحال، ما لبثت أن أضحت أسيرة حالة أخرى أكثر تعقيداً. على أهمية الخلاف على تفسير نصاب الغالبية المطلقة الحالية لمجلس النواب بعدما أضحى عدد أعضائه 115، فإن ترسيخ التفسير وتناقضه والصراع من حوله يعطي للتوّ إشارتين سلبيتين:

أولى، أن الانتخابات النيابية المقبلة في آذار أو في أيار 2022 غير مؤكدة، كما لو أن المطلوب تثبيت قاعدة كانت صالحة في زمن الحرب، وليست كذلك في حقبة السلم الوهمي. إذ لا يبدو مستحقاً الى هذا الحدّ وقوع انقسام في مجلس النواب، وبين الرئاسات، ما لم يكن المضمر أسوأ بكثير من المعلن. ثانية الإشارتين، لأن الانتخابات النيابية غير مؤكدة الحصول في موعدها، فإن النصاب الجديد، بتعيين أكثرية مطلقة جديدة، هو القطار الذي سيقود البلاد الى الانتخابات الرئاسية المقررة ما بين آب وتشرين الأول 2022. ليس نصاب الأكثرية المطلقة (59 نائباً) ـ غير المتفق عليه حالياً ـ هو المشكلة المقبلة، بل نصاب الثلثين الملزم لانعقاد مجلس النواب هيئة ناخبة، استناداً الى احتساب العدد الذي يتألف منه مجلس النواب قانوناً. سيمسي نصاب الثلثين إذذاك 78 نائباً، عوض أن يكون 86 نائباً لانتخاب الرئيس الجديد للجمهورية. كما في كل شأن ينجم عن مشكلة، يُعثر على جذور لها في سوابق، ما يحدث الآن في الصراع على نصاب الغالبية المطلّقة ليس مقطوعاً من شجرة، ولا يتيماً لا أب له ولا ماضي. أولى مرات نوقشت فيها المسألة عام 1978 مع تدنّي عدد النواب من 99 نائباً الى 94 نائباً بفعل وفاة ثلاثة هم: مرشد الصمد وصبري حمادة وجوزف شادر، واغتيال اثنين هما: كمال جنبلاط وطوني فرنجية. توسّع الخلاف في المجلس لاحتساب النصاب دونما أن يكون مقبلاً حينذاك على استحقاق دستوري مهم كرئاسة الجمهورية. عام 1980، بعد جدال طويل في قانون التقاعد والخلاف على التصويت عليه، توصّل المجلس الى أول تفسير لمادة دستورية في تاريخه هي المادة 57، بُني فيه نصاب الغالبية على النواب الأحياء لا على المقاعد، بحجة مزدوجة هي تعذّر إجراء انتخابات نيابية عامة أو فرعية لاكتمال هيئة البرلمان، وكذلك التناقص المستمرّ في عدد النواب. عندما دهمت أول انتخابات رئاسية، في ظل هذا التفسير، احتسب الثلثان (61 نائباً) بناءً على نصاب النواب الأحياء (92 نائباً) في جلسة انتخاب الرئيس بشير الجميّل عام 1982، وكان الصراع على اكتمال النصاب ـ لا على حتمية الفوز ـ محموماً. تكرّر الاحتساب نفسه مع انتخاب الرئيس رينيه معوّض عام 1989، فإذا الثلثان (49 نائباً) من مجموع النواب الأحياء (73 نائباً).

بيد أن ذلك كله انقضى نهائياً بإجراء أول انتخابات نيابية عامة في البلاد عام 1992.

بقليها فكرة النصاب القانوني رأساً على عقب، مع ذلك، تشعّب الاجتهاد في قراءتها. لعلّها أقرب الى «حتى» التي حتحتت عقول النحاة.

يكاد يكون الخلاف السياسي على الغالبية الحالية في البرلمان، من جراء استقالة أو وفاة 13 نائباً، يتجاوز السجال الدائر على قانون الانتخاب، وتبعاً لذلك الاشتباك السابق له بين الرئيسين ميشال عون ونبيه برّي، بدءاً بردّ رئيس الجمهورية قانون الانتخاب، مروراً بإصرار مجلس النواب عليه بالغالبية التي حدّدها رئيسه وهي 59 نائباً، وانتهاءً بما سيدلي به المجلس الدستوري. أحد أبسط الأدلة على سذاجة التعويل على المجلس الدستوري، أن هذه الهيئة المحدثة عام 1994 للمرة الأولى

السلطة تمعن في تدمير المجتمع وتصرّ على إطالة أمد الانهيار الاقتصادي الذي يطحن الفقراء

قضية

فضيحة التعليم العالي
متى تُقفل الدكاكين الجامعية؟

«الفلتان» في قطاع التعليم العالي الخاص ليس جديداً. كل ما فعله القرار الأخير لوزارة التعليم العراقية هو الكشف عن أزمة «تورمت» وحان استئصالها. المسألة ليست بيع وتزوير شهادات بقدر ما هي مسؤولية القيمين على القرار في الجامعة عن خرق المعايير والشروط لنيل الشهادة لا سيما في مراحل الماستر والدكتوراه

فاتن الحاج

حتى الساعة، لم يصدر أي تعليق رسمي من السلطات اللبنانية حيال تشكيك وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية في صدقية شهادات عدد من الجامعات اللبنانية وتعليق الدراسة، تحديداً في كل من الجامعة الإسلامية وجامعة الجنان والجامعة الحديثة للإدارة والعلوم. في الواقع، لا يدعو الصمت «المريب» إلى التعجب في القطاع متروك لمصيره، ويمكن أن ينفجر في أي لحظة مع تكاثر مَرَضي لجامعات مخالفة ومزورة تفلتت، بغطاء حزبي وطائفي، من المحاسبة على مدى عقود، فيما لم يقفل فرع جامعي جغرافي واحد غير مرخص. وليس مستغرباً ما يحصل في ظل غياب تام لرقابة وزارة التربية. فلم تكلف السلطة السياسية نفسها عناء تعيين مدير أصيل للتعليم العالي يتفرغ لهذا الملف الشائك، إذ يشغل حالياً المنصب بالتكليف المدير العام للتربية فادي يرق، في حين انتهت ولاية مجلس التعليم العالي الحالي المحددة بثلاث سنوات، علماً بأن وزير التربية السابق، طارق الحجذوب، عطّل المجلس، تحت حجج واهية، طيلة سنتين كاملتين فلم يجتمع سوى 6 مرات فقط، بينما يلزمه قانون تنظيم التعليم العالي الرقم 285 عقد اجتماع واحد في الشهر على الأقل. وإذا لم يستكمل الجدول في جلسة معينة يُعقد اجتماع آخر خلال أسبوع لاستكماله.

«الفلتان» في التعليم العالي ليس جديداً أو مستجداً، ولا يتعلق بالطلاب العراقيين وحدهم، إنما بجميع الطلاب بمن فيهم الطلاب اللبنانيون الذين نال بعضهم شهادات وفّرتها سياسات جامعات تغيّب المعايير والشروط اللازمة لنيل الشهادات لا سيما في مرحلتي الماستر والدكتوراه، مستفيدة من الحمايات السياسية لها.

القرار العراقي جاء ليؤكد أن التلاعب «المعهود» بالشهادات والمستوى التعليمي في الجامعات اللبنانية تفشى، أخيراً، بصورة خارجة عن المألوف، وطاف على السطح في العراق، خصوصاً مع نيل أمين عام مجلس الوزراء العراقي حميد الغزي دكتوراه من الجامعة الإسلامية. ضجّت القصة منذ نحو شهرين في العراق، وفتح الملف. ودفع ذلك الوزارة العراقية إلى التشدد في الاعتراف بشهادات الجامعات اللبنانية عبر «إخضاع جميع الرسائل والأطروحات للطلاب العراقيين الذين ينهون دراستهم في الخارج إلى فحص الاستدلال الإلكتروني (plagia) أي نسخ المعلومات عن مواقع أخرى من دون إسنادها إلى مصادر، واعتماد نسبة 20 في المئة كحد أعلى لنسبة الاستدلال المقبولة، والاستعانة بالجامعات العراقية لفرض الاستدلال الإلكتروني لجميع الرسائل والأطروحات، وإخضاع جميع الطلاب العراقيين الذين ينهون دراستهم خارج العراق إلى تقييم علمي من خلال عرض حالات الطلاب على اللجان العلمية المختصة، على أن تتم إحالة الطلاب إلى الجامعات للاختبار وكل حسب اختصاصه في حال عدم قناعة اللجنة».

الوزارة العراقية خصت 3 جامعات وسمتها بالاسم، وأشيع بأن اتصالاً جرى بين وزير التربية اللبناني عباس الحلبي ووزير التعليم العراقي نبيل كاظم الصاحب لحصر القرار بهذه الجامعات، بعدما كانت الوزارة العراقية تنوي تعليق دراسة الطلاب العراقيين في كل الجامعات اللبنانية ما عدا الجامعة اللبنانية.

الرئيس السابق للجامعة اللبنانية فؤاد أيوب قال لـ «الأخبار» إن الجامعة اللبنانية تطبق على جميع الطلاب الأجانب في الدراسات العليا الشروط والمعايير نفسها التي تطبقها على الطلاب اللبنانيين، «فالكل يخضع للاختبار والمناقشة الحضورية وكل الإجراءات المعتمدة، وهناك كوتا محددة للطلاب العرب والأجانب في كل من المعاهد الثلاثة للدكتوراه». وعلى رغم حملة الاعتراضات الكثيرة التي واجهتها الجامعة لجهة تحديد أعداد

تشمل الفضيحة طلاباً لبنانيين نالوا شهادات ماستر ودكتوراه مستفيدين من حمايات سياسية

مسبقة للمقبولين في كل اختصاص، بدا أيوب مقتنعاً بأن هذا القرار كان صائباً لجهة قطع الطريق على أي مساس بالمستوى التعليمي وصدقية الشهادات الجامعية.

وفق مصادر أكاديمية مطلعة، المسألة لا تتصل بتزوير شهادات جامعية، وإن حصل التلاعب بأوراق رسمية عبر موظفين في الجامعات أو مكاتب وسيطة للتسجيل وهذا جائز دائماً، إنما القضية تتعلق بملف إداري استراتيجي يتحمل مسؤوليته القيمون على القرار في الجامعة التي تمنح الشهادة، لا سيما لجهة خرق المعايير والشروط الواجب تطبيقها، وهي شروط تنال عليها الجامعة الرخصة عند مباشرة التدريس وإنشاء الاختصاص من دون أن تكون هناك متابعة دورية من وزارة التربية بشأن الاستمرارية فيه، ما يتطلب إعادة الضبط والمحاسبة التي لا يجب أن تقتصر على اتخاذ تدابير بحق عدد من الموظفين «ويتطلع برأسهم فقط».

المصادر لفتت إلى أن الجامعة الإسلامية، مثلاً، وافقت على تسجيل «عدد مهول من الطلاب العراقيين في الماستر والدكتوراه، يتجاوز الألف طالب في كل اختصاص، وهذا غير موجود في أي بلد في العالم، وعمدت في أحد الاختصاصات مثلاً إلى توزيع تدريس مادة واحدة على ثمانية أساتذة، بحيث يدرس كل أستاذ أكثر من 100 طالب».

لا تنكر رئيسة الجامعة، دينا المولى، وجود عدد لا بأس به من الطلاب العراقيين الذين يدرسون الماستر والدكتوراه في الجامعة وفي كل الاختصاصات، لا سيما في الهندسة وإدارة الأعمال والآداب والحقوق والدراسات الإسلامية والسياحة. إلا أنها تؤكد أن الكلام عن وجود الآلاف «مضخم وغير صحيح، بدليل أن هناك 350 طالباً فقط يناقشون رسائلهم وأطروحاتهم في كل عام»، علماً أن ثمة من قال إن عدد الطلاب الذين يناقشون يختلف عن عدد المسجلين.

المولى قللت من أهمية التركيز على العدد، «إذ يمكن لجامعة أن تضم 100 طالب وتزور الشهادات ولا تعتمد أي رصانة، ويمكن لأخرى أن تسجل 100 ألف طالب وتتبع شروطاً صارمة وتعجيزية مثل التقييم المستمر والامتحانات الحضورية وتطبق معايير الجودة والتصنيف العالمي واعتماد الكليات والاختصاصات، ونحن نلنا الاعتماد من وزارة التعليم الفرنسية لمدة 5 سنوات».

القرار العراقي، بحسب المولى، ليست له علاقة بأي تزوير ولا يقول إن الجامعة تبيع الشهادات كما انتشر في الإعلام، مشيرة إلى أن أعضاء اللجان الأكاديمية حريصون على رصد «الاستدلال» والتحقق منه، ولدى التأكد من ذلك يجري توقيف المناقشة. وطالبت بإجراء تحقيق شفاف في الجامعة من اللجنة العلمية العراقية نفسها التي أفضى تحقيقها إلى إصدار القرار، وقالت إنها ستطلب «اعتذاراً عن الإساءة التي سببها للجامعة ولشهاداتها ولطلابها ومتخرجيها».

تقرير

الأمم المتحدة: السياسيّون بدّدوا موارد لبنان على المصارف

من خارج سياق السجالات المحلية، اتّهم مقرّر الأمم المتحدة المعني بالفقر المدقع وحقوق الإنسان أوليفييه دي شوتر، قادة لبنان السياسيين «في أعلى المستويات» بتدمير المجتمع وتبديد موارد الدولة على المصارف. بالنسبة إلينا، فإن دي شوتر يؤكد المؤكّد. هو، الآتي من بعيد، يصف مشاهد عمالة الأطفال والهجرة والفقر من دون انحياز لطرف سياسي محلّي على آخر، بل اتهمهم جميعاً بالانحياز والشراكة مع الفئات الأقوى في المجتمع ضدّ الفئات الأكثر حاجةً وهشاشة. ما قاله دي شوتر، هو أن السلطة اللبنانية تمعن في تدمير المجتمع الذي كان يتوجب عليها أن ترعاه، وهي تصرّ على إطالة أمد النظام الاقتصادي الريعي القاتل للفقراء، بدلاً من استغلال فرصة «إعادة التفكير في نموذج لبنان الاقتصادي...».

لم يكن صعباً على دي شوتر معاينة الصورة الشاملة عن قرب، خلال زيارته للبنان، ليخرج بما تردّده الغالبية وبما يجب أن يُنفّذ لتحقيق التعافي المالي، وبالتحديد ما ذكر في خطّة حكومة حسان دياب قبل أن يسقطها مصرف لبنان وشركاؤه من أصحاب المصارف وحاملي الأسهم وممثلي القطاع المصرفي في مجلسَي الوزراء والنواب.

دي شوتر ليس رجلاً سياسياً، أو زعيماً حزبياً، وليس معنيّاً بكل السجال السياسي بين هذه الجهة وتلك، لكن كان سهلاً عليه، إدراك المخطّط الاحتيالي السياسي وتوصيف نتائجه الجارية حتى الآن، لينتقل إلى تعداد وسائل الخروج من هذه الكارثة التي يعلم بها الجميع ولكن لا يريد أحد تنفيذها. بل ثمة من استفاد سابقاً من مراكمة الديون، ويستفيد اليوم من إطفائها على حساب المودعين. في هذا الصدد، سأل دي شوتر:

السلطة تمعن في تدمير المجتمع وتصرّ على إطالة أمد الاقتصاد الريعي القاتل للفقراء

«علامَ أنفق السياسيون الموارد على مدى عقود؟ لقد تجاهلوا الحاجة إلى سياسات اجتماعية من برامج رعاية اجتماعية وبنى أساسية للخدمة العامة، وركزوا بدلاً من ذلك على القطاعات غير المنتجة مثل المصارف، ما أدّى إلى تضاعف الدين العام وتكريس كل الموارد لخدمة هذا الدين».

بالنسبة إلى دي شوتر، «لا تزال العلاقة المعقّدة بين الطبقة السياسية والقطاع المصرفي مقلقة للغاية». هذا ما يدفعه إلى مطالبة الحكومة بالكشف علانية «عن جميع الإيرادات والحصص والمصالح المالية، وتخصيص الموارد لآليات المساءلة الحقيقية. فالمجتمع الدولي لن يصدّق التزام الحكومة بالإصلاح إلا إذا التزمت بشكل جدي بمبدأ الشفافية». فوفق الخبير العامل في الأمم المتحدة، هذه الأزمة «تدمّر حياة السكان وتحكم على الكثيرين بفقر ستتوارثه الأجيال». يحصل ذلك في حين «يحاول السكان البقاء على قيد الحياة، بينما تضيّع الحكومة وقتاً ثميناً بالتهرب من المساءلة».

من هنا، خلص دي شوتر إلى إبلاغ المعنيين أن «صبر مجتمع المانحين بدأ ينفد مع الحكومة اللبنانية. فبعد خسارة 240 مليون دولار نتيجة التلاعب بأسعار الصرف التعسفية، يجب أن يلمس المجتمع الدولي جدية الحكومة في تطبيق الشفافية والمساءلة. ومن شأن اعتماد نهج قائم على الحقوق أن يوجّه جهودها على هذا المسار».

دي شوتر الذي لا يفقه عن لبنان شيئاً وزاره لمدة 12 يوماً، تمكّن تلقائياً من فهم أدوات رأس المال المستخدمة في إفقار الطبقات العاملة وتدمير العملة الوطنية، داعياً إلى محاسبتهم وفرض إصلاحات تعالج الانهيار الاقتصادي. ورأى أن «عدم المساواة بلغ مستويات غير مقبولة منذ أعوام. وحتى قبيل الأزمة، كانت شريحة الـ 10% المصنفة في خانة الأكثر ثراء تحصل على دخل يزيد خمس مرات على 50% من الشريحة الأكثر فقراً. وهذا المستوى الصارخ من عدم المساواة يعزّزه نظام ضريبي يكافئ القطاع المصرفي، ويشجّع التهرب الضريبي، ويركّز الثروة في أيدي قلّة. في الوقت نفسه، يتكبّد السكان ضرائب تنازلية تصيب الفقراء. إنها كارثة من صنع الإنسان، استغرق صنعها وقتاً طويلاً».

من جهة أخرى، اتهم دي شوتر الطبقة السياسية بعدم الرغبة في تخفيف حدّة الفقر وتعزيز الحماية الاجتماعية من خلال إصلاح النظام الضريبي لإعادة بناء الاقتصاد. وأكد أنا من خطة حكومية لمعالجة الوضع إلا «تعتمد على المانحين الدوليين والمنظمات غير الحكومية»، فيما يرى أن «الإعتماد على المعونة الدولية ليس مستداماً، ويضعف مؤسسات الدولة».

أنهى دي شوتر جولته مذهولاً من التقصير وعدم المسؤولية لدى القيادات السياسية. إلا أنه قدّم طروحات للخروج من الأزمة؛ منها ضرورة إعطاء الحكومة الأولوية لوضع «حدّ أدنى من الحماية الاجتماعية الشاملة، بما في ذلك التأمين ضد البطالة ومستحقات الأطفال وضمان الشيخوخة وغيرها». فلبنان «لديه فرصة لإعادة النظر في نموذجه الاقتصادي. ولن يؤدي الاستمرار في تحفيز نموذج فاشل قائم على الريعية وعدم المساواة والطائفية إلا إلى إغراق السكان أكثر في العوز. وإلى أن يتم اقتراح خطة موثوقة لتغيير النظام الاقتصادي ومعالجة عدم المساواة وضمان العدالة الضريبية والحؤول دون تفاقم المشكلات السياسية، لن يأخذ المجتمع الدولي الإصلاحات على محمل الجد».

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

توضيح

ملف سوليدير ليس نائماً في أدراج النيابة العامة

أوضح مصدر قضائي معني بملف التحقيق في مخالفات «سوليدير»، تعليقاً على ما نشرته «الأخبار» أمس، أن النائب العام المالي القاضي علي إبراهيم أبلغ «الأخبار»، بوضوح، أن الملف صار بيده، وأنه يقوم بما يتوجب عليه قانوناً. وعليه، لفت المصدر إلى أن «تأويل ما قاله القاضي إبراهيم وتفسيره على أنه قرر تنييم الملف، ليس في مكانه على الإطلاق». وأوضح أن «القاضي إبراهيم أرسل في طلب كل من رئيس مجلس إدارة الشركة ناصر الشماع والوزير السابق محمد الصفدي، وتبين أن الأول موجود في السعودية والثاني موجود في الولايات المتحدة. وهما سيمثلان أمامه لدى عودتهما إلى لبنان». وأكّد المصدر أن «الملف ليس مقفلاً على الإطلاق»، وأن استنتاج «الأخبار» «ليس في مكانه. ومن الأفضل انتظار نتائج التحقيقات في المرحلة المقبلة».

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ الصدر المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، أمل الأتحري
■ المدير الصفي: صلاح الموسى
صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15ـ01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

الإجماع الثقافي ـ الإعلامي العربي والخليج

أسعد أبو خليك *

مرّت علاقة المثقّفين العرب بمراحل عدة، الذي نشأ في مرحلة الستينيّات والسبعينيّات يستغرب مواقف المثقّفين العرب نحو الأنظمة الخليجيّة. التصنيف الذي أدخله عبد الناصر بين أنظمة تقدميّة وأنظمة رجعيّة كان السائد آنذاك، وكان المثقّفون منضوين في أكثرهم في المشروع القومي العربي بأنساقه المختلفة (البعثيّة والناصريّة). هذه المرحلة التي نعيشها اليوم تختلف عن سابقاتها كليّاً لأن هناك إجماعاً بين المثقّفين العرب في تأييد واعتناق سياسات أنظمة الخليج، وفي تخوين كل من يعاديها وطرده من العروبة (أصبحت العروبة اسماً حركيّاً لسياسات الخليج التطبيعيّة). والمعارض لها يصبح إيرانيّاً فارسيّاً. يكفي أن تقرأ عميد الليبراليّة العربيّة في جريدة «الشرق الأوسط»، حازم صاغيّة (الذي اختاره مشروع جورج سوروس مبكّراً كنموذج مُحتذى لنشر الليبراليّة في العالم العربي) وهو يقول إن «المصلحة القوميّة العليا» (في لبنان أو في أي بلد عربي) تعلو على حريّة التعبير (لكنّه كان واضحاً في أن تحديد المصلحة القومية العليا في لبنان لا تعود لممثليه المُنتخبين بل للحكم السعودي الذي يحدّد المصلحة القوميّة العليا» لكل بلد عربي). الذين سخروا من جمال عبد الناصر على مدى عقود. وفي صحافة أعدائه في الخليج- بسبب رفع شعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» في زمن الصراع مع إسرائيل، وجدوا أن لا صوت يعلو على مصلحة النظام السعودي. غالط حازم صاغيّة وصحبه عبد الناصر في جعله المعركة ضد إسرائيل أولويّة الأولويّات، فيما وجدوا أن مصلحة محمد بن سلمان هي المصلحة القومية العليا للبنان ولكل بلد عربي. كيف تحوّلت مواقف المثقّفين العرب في عقود معدودة من نقيض إلى نقيض؟ لو تعود إلى جريدة «السفير» في اليوم الذي زار فيه أنور السادات فلسطين المحتلّة في عام 1977، لوجدت أسماء كتّاب حاليّين في صحف الخليج وهم يكيلون الشتائم المقذعة ضد السادات، فيما دعا صاغيّة إلى قتله. هل إن التحوّل هو عمليّة أيديولوجيّة محض، يمرّ بها المرء؟ ولماذا تكون التحوّلات دائماً في اتجاه واحد: من معاداة أنظمة الخليج ودعم المقاومة إلى محاباة أنظمة الخليج ومعاداة المقاومة؟ أذكر حديثي مع صحافيّة كانت معروفة بمواقفها الشديدة الحدّة في دعم النظام السوري وحزب الله، وكانت تصاب بضيق شديد عندما كنتُ أنتقد (على فايسبوك قبل أن أطرُدَ منه شرّ طردة) الحزبَ أو النظام السوري. ثم انتقلت بخفّة نحو المقلب الآخر وأصبحت من المشاركات في السخرية من النظام السوري ومن الحزب. فسألتُها مستفسراً: أتذكرين عندما كنت تعاتبينني على نقدي للطرفين؟ فقالت: أتذكّر، لكنّ التحوّل سمة عادية من النضوج الفكري والسياسي. لكن لماذا لا يحدث النضوج إلا باتجاه واحد، ولماذا دائماً في الاتجاه الأكثر نفعيّة وربحاً في مجالات العمل؟ معقول أن يكون ذلك صدفة من الصدف؟ معقول أنها صدفة أن أحداً لا ينتقل من إعلام دبيّ إلى إعلام مستقل أو حتى إلى إعلام المحور المناهض لآل سعود؟ أم أن عقيدة آل سعود وآل زايد وآل ثاني جاذبة إلى درجة أنه لا يمكن لأي عاقل أن يختار ما يُعارضها؟

تكرّس في الخمسينيّات والستينيّات نمط الكتّاب والمثقّفين والفنانين العرب الموالين للمشروع القومي العربي. وكانوا مثل السياسيّين يسيرون في هذا الخط لأن القارئ العربي كان شديد التعصّب للمشروع القومي العربي. سليم اللوزي (يرتبط اسمه اليوم بالولاء لأنظمة الخليج العربي كانوا متطوّعين في حركات مقاومة وأحزاب يساريّة وقوميّة عربيّة. لم يكن هناك من مراكز أبحاث تؤوي مثقّفين غير «مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة» و«مركز الأبحاث الفلسطيني». خيرة المثقّفين العرب أرادوا العمل في «مركز الأبحاث» وإدوار سعيد عتبَ زمناً على وليد الخالدي لأنه لم يضمّه إلى مجلس أمناء «مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة». الخليج لم يكن وارداً كمشروع جذب للمثقّفين العرب.

كل انتخابات نيابيّة على السفر إلى القاهرة لالتقاط صورة له وهو يصافح جمال عبد الناصر (وكانت الصورة تنتشر على جدران بيروت). المشروع الرجعي العربي لم يكن يجذب الكتّاب والمثقّفين بالرغم من المردود المادي الأكبر له. كان الزمن زمن مبادئ وعقائد والاختيار الحرّ. كانت الصحف والمجلّات تبيع وتكسب من ريع المبيع: تصوّر أن مجلّتي «الشبكة» و«الحوادث» كانتا تبيعان أكثر من مئة ألف نسخة أحياناً، وكان عدد السكّان أقل بكثير من اليوم (لا تبيع الصحيفة في لبنان اليوم أكثر من عشرة آلاف نسخة). وكان هناك تنوّع في تشكيلة الأنظمة العربيّة وكان بعضها سخيّاً في الإنفاق الإعلامي. وكانت أجنحة النظام الواحد تتنافس في تمويل المجلات والصحف (كانت أجنحة متنوّعة في النظام العراقي تموّل مجلّات لبنانيّة مثل «الوطن العربي» لوليد أبو ظهر و«الدستور» لعلي بلّوط فيما انفردت المخابرات العراقيّة بتمويل «التضامن» لفؤاد مطر، الذي انتقل من سخاء النظام العراقي إلى سخاء النظام السعودي بعد 1991).

وعندما كانت الصحافة تعتمد على المبيعات كانت أكثر تعبيراً عن الرأي العام العربي لأن تأييد الصحف كان عملاً ديموقراطيّاً مثل الاقتراع. لم تكن هناك هويّة خاصّة بجريدة «الأنوار» إلا أنها نافست جريدة «المحرّر» في تأييد جمال عبد الناصر. وجريدة «الشعب» لمحمد أمين دوغان اشتهرت بأنها برّرت الجميع في العناوين المثيرة المؤيّدة لعبد الناصر. الصحف كانت تعبّر عن الرأي العام العربي ولهذا كانت حكومات الغرب، خصوصاً بريطانيا وأميركا، تموّلُ عدداً هائلاً من الصحف والمجلّات في بيروت فقط لمنافسة المد الناصري واليساري. لو أذكر اليوم بعض أسماء صحف ومجلّات من تلك الفترة لما تبيّنها أحد من الجيل الغربي والخليجي في البروباغندا لم يكن يقابله سخاء سوفياتي. قلّة من المفكرين والمثقّفين التحقوا بصحف الخليج. قدري قلعجي (شيوعي سابق) كان من تلك القلّة ولهذا كانت خدماته موزّعة على عدد من صحف الخليج. وهناك من موّل له دار نشر رجعي خاص به لذوّ اليسار والشيوعيّة (بروي إبراهيم سلامة في مذكراته، «غداً سندخل المدينة»)، عن دور قلعجي في حمل حقيبة مال للتجوال على الصحف للتأثير في موقفها من النزاع العراقي- الكويتي في أوائل الستينيّات). من الذي جال على المحطات اللبنانيّة الثلاث هذه السنة؟ من الذي حوّل محطة «الجديد» من بوق مبتذل للمقاومة إلى بوق مبتذل لأميركا والإمارات؟

المثقّفون العرب كانوا منخرطين في المشروع القومي يساهمون فيه من دون مقابل، وعن حماسة شديدة. هذا زمن هجر فيه «أبو عمر» (حنا ميخائيل) منصباً أكاديميّاً مضموناً في أميركا كي ينخرط في صفوف الثورة الفلسطينيّة (عن «أبو عمر»، راجع كتاب «غُيّب فأزداد حضوراً: حنا إبراهيم ميخائيل (أبو عمر)» من إعداد جهان حلو). الأكاديمي اللبناني جورج حجّار لم يهجر الجامعات الأميركيّة: طُرد من جامعات أميركا وكندا. لم يتسع فضاء الحريّات المحدودة له، والجامعات العربيّة لم تنسجم مع ثوريّته- لا في الجزائر ولا في العراق. عندما كان النظام يزعم أنه كان ثوريّاً. (أذكر الطلاب الفلسطينيّين الجامعيّين في الكويت كيف كانوا يأتون في فصل الصيف للتدرّب على السلاح في مخيّمات التدريب في لبنان). إدوار سعيد وهشام شرابي وإبراهيم أبو لغد كلّهم فكّروا جديّاً قبل الحرب الأهليّة في هجرة جامعات أميركا للالتحاق بصفوف مراكز البحث الفلسطيني في بيروت بعد أن استوطنت المنظمّة هناك إثر «أيلول الأسود». المثقّفون العرب كانوا متطوّعين في حركات مقاومة وأحزاب يساريّة وقوميّة عربيّة. لم يكن هناك من مراكز أبحاث تؤوي مثقّفين غير «مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة» و«مركز الأبحاث الفلسطيني». خيرة المثقّفين العرب أرادوا العمل في «مركز الأبحاث» وإدوار سعيد عتبَ زمناً على وليد الخالدي لأنه لم يضمّه إلى مجلس أمناء «مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة». الخليج لم يكن وارداً كمشروع جذب للمثقّفين العرب.

شروف امين (الكويت)

كانت أنظمة الخليج في زمن عبد الناصر في موقع الدفاع لأن نقد عبد الناصر لهم كان موجعاً، وكان يبرع في السخرية منهم. قارن وقارني بين وصف جورج قرداحي للحرب السعوديّة-الإماراتيّة على اليمن بـ«العبثيّة» وبين وصف عبد الناصر للملك السعودي بـ«ملك الجواري والحريم» (من خطاب له في 23 ديسمبر 1962، بحسب ما يلمعني كمال خلف الله الطويل). الذي يستمع لتفاعل الجمهور العربي مع خطب عبد الناصر يفهم، قليلاً، لماذا عُمّر الحقد الخليجي ضد عبد الناصر كل هذه العقود.

> من سخروا من عبد الناصر بسبب رفع شعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» وجدوا أن لا صوت يعلو على مصلحة النظام السعودي

> تموضع المثقّفين والكتّاب العرب بات محصوراً بين قطر من ناحية وبين النظامَيْن السعودي والإماراتي من ناحية أخرى

كان هناك بعض الأساتذة العرب يعملون في الخليج، خصوصاً في الكويت، لكن كان نشاطهم في خدمة القضيّة الفلسطينيّة أكثر مما كان في خدمة الأنظمة كما هي الحال اليوم. كان الأكاديمي اللبناني، هاني فارس، وزملاؤه في جامعة الكويت يضحّون مفاهيم الثورة والتحرّر في المنهاج المقرّر في الجامعة. لم يكن يمكن للمثقّف العربي أن يحظى باحترام لو أنه التحق بالمحور الخليجي. صحيح أن شارل مالك في الجامعة الأميركيّة في بيروت رعى تشكيل خندق يميني رجعي وكانت جريدة «النهار» رائدة في نشر نتاج هؤلاء وفي الترويج لهم. كانت جريدة «النهار» تروّج لكمال صليبي عندما كان رجعياً انعزالياً، ثم تخلّت عنه بعد أن حاد عن الخط وأيّد المقاومة الفلسطينيّة بعد نشوب الحرب الأهليّة (أو قل، هو نبذ اليمين الانعزالي، وبتأثير من صديقه الفلسطيني، أسامة الخالدي).

موت عبد الناصر لم يحوّل كل المثقّفين العرب فجأة نحو أنظمة الخليج، ولا هذا حوّل الصحافيّين نحوهم. سليم اللوزي كان الأسرع بينهم في الالتحاق بالركب الخليجي وأصبحت المجلّة ناطقة باسم مشروع خبيث تمثّل فيه ببار إدة كما تمثّل فيه مستشارو حكّام الخليج الذين رابطوا في مكتب اللوزي (لكن ولاءه الأوّل كان للأمير فهد). لكن السعوديّات شهدت بداية تمويل سخي من ليبيا والعراق للمجلّات والصحف، ليبيا أنشأت في بيروت أوّل مركز أبحاث غربي من نوعه، «معهد الإنماء العربي»، الذي جذب مثقّفين عرباً جمعهم المشروع القومي (وزيادة على رواتب الجامعة اللبنانيّة والجامعة العربيّة). وكان إنتاج المركز غنيّاً وملتزماً بالمشروع القومي العربي. لكن النظام الليبي بئس من المشروع القومي العربي عندما أعلن القذافي زعامته على القارة الأفريقية برمّتها. كما أن رحيل منظمة التحرير عن بيروت حرم لبنان، لا بل العالم العربي، من مركز ثقل ثقافي وإعلامي كان يفرض أولويّات في الاهتمام العربي. هناك عدد هائل من الكتّاب والرسامين والمثقّفين الذين حاموا حول مشروع منظمة التحرير في لبنان. وكان وجود المنظمة بقوّتها العسكريّة (القليلة الفعالية إزاء إسرائيل) رادعاً للأنظمة الخليجيّة ومؤثّراً في تصنّع الالتزام بالقضايا العربيّة من قبل تلك الأنظمة (أذكر جريدة «الشرق الأوسط» عندما عنونت عن زيارة استجمام للأمير سلمان إلى إسبانيا وقالت إنه يزور البلد لبحث القضيّة الفلسطينيّة). رحيل منظمة التحرير عن بيروت أزال رادعاً قويّاً أمام مضي أنظمة الخليج في سياسات المهادنة ثم التحالف (السري قبل العلني) مع إسرائيل. لكن الرادع الأخير سقط بهزيمة نظام صدّام حسين في عام 1991. النظام العراقي كان يخيف أنظمة الخليج، مع أن صدّام اتبع في أواخر الثمانينيات سياسات جد مهادنة نحو إسرائيل، وقاد مبعوثه، نزار حمدون، حملة محاباة الصهيونيّة في قلب واشنطن.

كانت بداية «الشرق الأوسط» أنها الجريدة العربيّة الوحيدة المجانبة والمطبوعة حول العالم. تجدها في كل المكتبات الأميركيّة مثلاً. وكانت هي و«الحياة» بعد ابتياعها من قبل خالد بن سلطان أولى المنابر العربيّة في الترويج للصهيونيّة. وكان الإعلام الصدّامي وإعلام منظمة التحرير وإعلام القذّافي تشكّل رادعاً ضد الاتجاه نحو السلام مع العدوّ تحديداً. لكن الإجماع الثقافي العربي حول أنظمة الخليج بدأ بالتشكّل بعد غزو الكويت من قبل صدّام. لم تعد هناك محاور عربيّة بين الأنظمة ولا محاور إعلاميّة. عندها تشكّل إجماع الثقافة والفن في العالم العربي. في العهد الناصري، كان هناك شبه إجماع لكنّه كان حرّاً من دون مقابل. كما أن شعبيّة عبد الناصر، كما تظهر صور ملايين الجماهير في جنازته، غير مدفوعة بعكس شعبيّة صدّام وشعبيّة أمراء وشيوخ النفط والغاز. أصبح الكاتب والمثقّف والفنان العربي يجدون أن الطريقة الوحيدة لنيل دخل إضافي يكون في الانصياع لهذه الأنظمة. وعندما كانت مصلحة أنظمة الخليج تقتضي تصنّع التعاطف مع شعب فلسطين، رضخ كل هؤلاء المثقّفين وطلعت «روتانا» السعوديّة بمغنّاة «الحلم العربي» (وهي أقرب إلى النواح الجنائزي منها إلى المغنّاة، وهي تنسجم مع رؤية حمد بن جاسم الذي اقترح ديبلوماسية «التوسّل» طريقاً وحيداً لحلّ القضيّة الفلسطينيّة). الإجماع في الثقافة العربيّة تراه في كل مكان. هناك إجماع بين مثقّفي لبنان ضد مقاومة إسرائيل، وإجماع ضد حريّة التعبير (كتب إلياس خوري في «القدس العربي»، جريدة النظام القطري، قبل أيّام أن أزمة قرداحي لا تمتّ بصلة لحريّة التعبير، فيما الأزمة ليست إلا غضبة سعودية وخليجيّة ضد حق أي لبناني في انتقاد الحرب الوحشيّة في اليمن أو في معارضة آل سعود). وهناك إجماع في لبنان على أن دول الغرب وحدها تشكّل «المجتمع الدولي» وأن الاشتراكيّة مستحيلة (نالت مقالة عن استحالة الاشتراكيّة في «الشرق الأوسط» شرف الترشح في جوائز دبي للصحافة قبل أيام).

هناك أفراد، كتّاباً ومثقّفين، معادون للسياسة الرجعيّة التي يمثّلها النظامان السعودي والإماراتي وحتى القطري. لكن هؤلاء المؤيّدين للمقاومة قليلو التأثير، خصوصاً أنهم محرومون من المنابر الإعلاميّة التي تصل إلى أكبر عدد من الناس. ينحصر وجود هؤلاء بوسائل إعلام غير خاضعة للتأثير الخليجي وهي تشكّل نحو 5 في المئة من وسائل الإعلام العربية. وهؤلاء، خصوصاً الإسلاميّين منهم، سنّة وشيعة، متعوّدون أو متدرّبون على مخاطبة الذات وليس مخاطبة الآخر مما يقلّل من حجم التأثير، نضحّ وسائل الإعلام الخليجيّة عدداً هائلاً من الكتاب والمثقّفين (البعض من خلفيات يسارية والبعض من خلفيات إسلامية والبعض من خلفيات وحاضر رجعي محض) وهؤلاء يخاطبون الجميع ولديهم القدرة. كان المثقّفون يتوزّعون بين وسائل إعلام متصارعة لكن الأنظمة لم تعد متصارعة بعد رضوخ كل الأنظمة العربيّة- بما فيها الجزائر التي تبدو متمرّدة، وعن حق، إزاء فرنسا- للمشيئة السعوديّة. حالة الإجماع بين المثقّفين هي التي تقيّد مساحة التعبير في العالم العربي، وبأمر من حاشية الأمير والشيخ. والإجماع يطال النخب الثقافيّة والفنيّة مما يجعل المعترض أو المُعارض أو المُختلف في موقع الأقليّة. وحملة الشهادات الجامعيّة الغربيّة هم دوماً في الطليعة، ودوماً في طليعة الدعوة الرجعيّة العربيّة. وهؤلاء يؤثّرون في الجيل الجديد أكثر من تأثير المُخالفين.

لبنان بلد متنوّع طائفيّاً وسياسيّاً لكن الطبقة الأكاديميّة والإعلاميّة والثقافية والفنيّة متراصّة في اتفاقها وتوافقها حول مشروع رفيق الحريري وحول معاداة حركات مقاومة إسرائيل. طبعاً، هؤلاء لا يمثّلون أنفسهم وإنما يمثّلون مصالح أنظمة الخليج المرتبطين بها. تلك الأنظمة توفّر لهم رواتب إضافيّة (خياليّة في حالات استثنائيّة. أخبرني في حينه كاتب في جريدة «الحياة» في لندن كيف أن أروقة التحرير كانت دائماً تعود إلى قصّة منح خالد بن سلطان منزلاً في «نايتزبريدج» في لندن لجهاد الخازن. أي أن للطاعة والامتثال ثمارهما عند آل سعود). كيف نفسّر إجماع النخبة الثقافيّة في لبنان- بلد كان يعبّر في كتّابه عن آراء متنوّعة في العالم العربي؟ كان هناك عند كتّاب لبنان تمثيل لكل العقائد والأيديولوجيّات. انتهى عهد التنوّع وساد عهد الإجماع الحديدي.

منح الخلاف القطري- السعودي مساحة للاختلاف لكن في نطاق ضيّق جداً. النظامان في عزّ اختلافهما الأخير لم يختلفا حول إيران (كثيراً) أو حول لبنان أو حول سوريا أو حول اليمن أو حول الاقتصاد والثروة النفطية أو معاداة الديموقراطية أو الثورة. الخلاف تمحور حول دور قطر وإعلامها وحول التدخّل في مصر وليبيا، لكن النظامين تنافسا- ولا يزالان يتنافسان- على التقرّب من الحكومة الأميركية والحصول على شرف استضافة قوّات أميركيّة. لكن تموضع المثقّفين والكتّاب العرب بات محصوراً في المسافة بين قطر من ناحية وبين النظامَيْن السعودي والإماراتي من ناحية أخرى. ليس من مظلّة أخرى. ليس من نظام عربي في وارد المنافسة. على العكس، هناك ظاهرة تفريخ مواقع «إعلام جديد» عربيّة تحظى بتمويل حكومي أوروبي وأميركي، وهي تنقل نفس الخطّ العام الذي يمثّله الإعلام الخليجي. يجهل إلا من يتابع الإعلام الغربي مدى تطابق تغطيته لمنطقتنا مع توجّهات الإعلام الخليجي. والمراسلون الغربيّون في بلادنا نراهم على تويتر ينقلون ما يكتبه إعلاميّو وإعلاميات الخليج. والتوافق في السياسة الخارجيّة بين مواقع التمويل الغربي والإعلام الخليجي يخلق مساحة ضيّقة ينضوي فيها معظم الكتاب والمثقّفين العرب.

هذه أزمة لأن لا فكاك منها قبل حصول انشقاق في النظام العربي الرسمي أو بروز محور مضاد للنظامين السعودي والإماراتي. ليس من بوادر لذلك والأنظمة العربيّة لا تقوى أو لا تريد إغضاب الحاكم السعودي النزق. تجربة لبنان مع جورج قرداحي بليغة في دلالاتها. هي درس للكتاب والإعلاميّين والمثقّفين العرب: من يجرؤ من الإعلاميّين أو الفنانين أو المثقّفين العرب على معارضة آل سعود في سياساتهم في المنطقة؟ الامتثال والإذعان سيسودان أكثر فأكثر. والثقافة الإسلاميّة المترنّمة لا تجذب إليها إلا المؤمنين بعقيدة الحزب والإعلام الموالي له، مما يخلق مساحة لا مجال فيها للكاتب أو المثقّف المستقل، إلا لوحده. الحيّز الثقافي العربي بات موحشاً جداً لغير المنتمي. وهو موحش أكثر للذي يرفض الانضواء في مظلّات خليجيّة. نحن نجد صعوبة في التنفّس ولسنا نغرق تحت الماء، مثل عبد الحليم حافظ.

* كاتب عربي . حسابه على تويتر @asadabukhalil

الانتخابات العظمى

سعد الله مزرعاني *

لا يكفي أن تُصنّف الانتخابات المقرّرة دستورياً في آذار أو أيار المقبلين، بأنها ستكون «أمّ المعارك»، في استعارة شائعة، للمناسبات أو للمعارك المهمة بالنسبة إلى أصحابها على الأقل. ما يُراد لتلك الانتخابات هو أبعد من ذلك: يُراد لها أن تكون فاصلة أو صاعقة أو ساحقة... وانعطافية بأقل معيار. يجري التحضير لها بوصفها ستكون (أو ينبغي أن تكون) كذلك! ولذلك، ولأن الأهداف كبيرة، ولأن المنخرطين في المعركة كثر، من محليين وإقليميين ودوليين، وأبرزهم الدولة العظمى الأولى في العالم، فإنه يمكن لنا أن نسميها «الانتخابات العظمى»!

في الأهداف، أولاً، ينبغي القول بأن ما يُعوَّل على تحقيقه، ليس إزاحة منظومة ونظام آذيا بالبلاد إلى الفشل والإفلاس وخطر الزوال، وبالعباد إلى الخراب والجوع: بوسائل النهب وانتهاك أبسط الحقوق، والتنكّر للدستور وللقانون... ومن ثمّ، كما يتوجب، تكتمل هذه الإزاحة بإحلال قوى أو فريق ذي أهداف إصلاحية يمكّن من إنقاذ البلاد وأهلها من مخاطر التفكّك والتقاتل واليأس والضياع والتشرّد والجوع والذل... إن التغيير هو أكثر من ضروري ومصيري بكل المقاييس الموضوعية التي نجمت عن الأزمة الضارية التي تعصف بالبلد وناسه. إلا أن ما يحاوله فريق، هو خارجي، بالدرجة الأولى، بكثير من التصميم ووافر من القدرات والانخراط والخطط، هو استغلال الأزمة، من أجل تحقيق أجندة خاصة به تُلبّي مصالحه ومصالح حلفائه وأتباعه في المنطقة وخصوصاً منهم العدو الصهيوني. بهذا المعنى غير الخافي إلا على من يمارسون سياسة النعامة، تصبح معركة الانتخابات النيابية المفترض حصولها في أوائل أو أواخر الربيع القادم، معركة دولية وإقليمية ومحلية في الوقت عينه! ومن البداهة، وفي حال نجاح واشنطن في كسب المعركة، أن تنجو المنظومة وينجو نظامها من المحاسبة، ليدفع الحساب طرف آخر. طرف ليس هو المسؤول الأساسي عن الكارثة المتواصلة الراهنة. ليس ذلك فقط، بل إن «الحل الأميركي» سيدفع بالبلد إلى كوارث أعظم من مثل الاحتراب والانقسام والموت والدمار! أما الخاسر الأكبر فسيكون، حتماً، الشعب اللبناني الذي سيجري إدخاله في دوامة قاتلة من الصراعات العبثية والمفتّتة والمدمّرة. يقع ذلك ضمن مخطط شامل، قديم جديد يتعدّى بلدنا. وهو مخطط، صاحبه واحد (الإدارة الأميركية)، وإن تعددت الأسماء وآخرها «الشرق الأوسط الواسع» («المحافظون الجدد» بدأ من غزو العراق عام 2003)، أو «صفقة القرن» (دونالد ترامب)، أو «محاربة الإرهاب» (كل الإدارات الأميركية!!)... وسيكون من نتائج النجاح الأميركي في لبنان، تحقيق إنجاز كبير على طريق هيمنة شاملة، على المنطقة، الستفيد منها وراعي فرضها واشنطن. أما أداتها الأساسية، فالصهاينة الذين سيصبحون قوتها الإقليمية وهراوتها الحاسمة في وجه تيارات الاستقلال والسيادة والتحرر والتوحّد والتقدم والديمقراطية.

في الوسائل، ثانياً، يجري، كل الوقت، إخضاع الشعب اللبناني لما يمكن وصفه بعملية غسل أدمغة وخداع وتهويل من ضمن اعتماد معادلة إعلان «كلمة حق يرادُ بها باطل». تُجنَّد، لهذا الغرض، آلة هائلة شاملة من القدرات والطاقات والموارد العددية والبشرية والإعلامية كما لم يحصل في أي معركة أخرى، ليس في لبنان وحده، بل – ربما - وفي العالم أيضاً!

نتحدث عن بعض ما يُمارس من نشاطات وتوجهات، وبعض يُرصد أو يُنفق من مبالغ وإمكانات، وبعض ما يُدبَّر من أفخاخ وأشكال من الفتن والصراعات، وبعض ما يُجنَّد من الأدوات والمؤسسات (وخصوصاً الإعلامية بكل فروعها المرئية والمسموعة والمكتوبة والإلكترونية...) على المستويين المحلي والإقليمي، وحتى الدولي. لا يمكن لأي متابع من ألّا يلاحظ، على سبيل المثال، ظاهرة توحُّد محطات تلفزة أساسية (اعتادت المنافسة والمناكفة والصراع)، في نسق وتيار واحد من التوجهات والشعارات وتكرار فقرات التحريض والحض والخداع... هي «ماكينة» انتخابية توحّدت فجأة بقدرة الإغراء وشراء الخدمات والضمائر ونثر الدولارات الطازجة على المالكين والمسؤولين و«المفاتيح» بسخاء كبير. النتيجة، إطلاق حملة ضارية مثابرة، تغذيها ميزانية مفتوحة وفجور وإلحاح لا يرحم الأعصاب أو يحترم العقول أو الحقائق... إنها الاستعادة الفجّة والمبالغة للطريقة الغوبلزية النازية الشهيرة!

إذا كان المال، هو الذي يُلوى به عصب الرجال» (والنساء)، كما قال شاعر العراق والعرب الجواهري، فإن في الجعبة المزيد من مخططات ومشاريع الفتنة التي ستكون جاهزة غبّ الطلب لرفد المعركة «العظمى» بما تحتاج إليه من التعبئة والتحريض، أو إثارته من العصبيات والنعرات الطائفية والمذهبية، أو افتعاله من الحوادث والمجازر والضحايا كما حدث أخيراً، في «الطيونة» وقبلها في غير منطقة قريبة وبعيدة...

تكراراً، ما العمل؟ وماذا عن دور ومسؤولية قوى التغيير الوطنية والشعبية إزاء كل ذلك؟

* كاتب وسياسي لبناني

ملف

في ظلّ يأس إسرائيلي متنامٍ من إمكانية إيقاف البرنامج النووي الإيراني، تبحث تل أبيب عن سُبُل أخرى يمكن أن تخدم غرضها. وفي هذا السياق تحديداً، يأتي تسعيرها هجماتها السيبرانية على المصالح الإيرانية، بهدف تأليب الطبقة الوسطى على النظام، ودفْع الأخير بالتالي إلى صرف النظر عن التطوّر النووي لصالح تحسين حياة الناس. لكن تلك الاستراتيجية تثير شكوكاً واسعة في الأوساط الإسرائيلية، التي تنبّه إلى أن النموذج الأقصى من العقوبات، والذي طبّقته إدارة دونالد ترامب ضدّ طهران، لم يفلح في إخضاع النظام الإيراني، فلماذا قد يفعل ذلك افتعال أزمة وقود في البلاد مثلاً؟ الأخطر، بالنسبة إلى إسرائيل، هو أنها هي نفسها تبدو غير جاهزة لهذه المعركة، التي تَظهر، إيران، في المقابل، ماضية في إعداد عدّتها لها، وهو ما تجلّى في نجاحها، أخيراً، في إعادة ربط كلّ محطّات الوقود في البلاد بالنظام الإلكتروني المخصّص للتوزيع، بعد إنهاء عمليات القرصنة التي تعرّضت لها. نجاحٌ دفع الإسرائيليين إلى بدء حملة إشاعات هدفها التشويش على الإنجاز الإيراني، وبالتالي إضعاف ثقة الناس بقدرة المؤسسات الخدماتية على تحصين نفسها، في ما تعتقد تل أبيب أنه يخدم الهدف الرئيس المتمثّل في الاستحواذ على مزاج «قشدة طهران»، وتحريضهم على التمرّد والعصيان.

إسرائيل على جبهة السايبر: مواجهة إيران بـ«إزعاج» طبقتها الوسطى

ينشط الهاكرز في موازاة الأنشطة الاستخبارية المونسانية لدى الجانبين (أ ف ب)

يحيى دبوق

ضربت إسرائيل، عبر هجمات إلكترونية، محطّات لتعبئة البنزين في إيران، الأمر الذي أربك الإيرانيين في روتينهم اليومي. مقابل ذلك، ردّت إيران باستهداف خوادم مختلفة في إسرائيل تحوي بيانات شخصيّة وعملية لإسرائيليّين في المؤسّسة العسكرية، إضافة إلى خوادم بيانات أخرى جرى العمل على نشر بعض منها. هاتان الهجمتان، عيّنتان من معركة سيبرانية مستمرّة من دون انقطاع بين الجانبَين، بوتيرة ترتفع حيناً وتنخفض أحياناً، وإن كان واضحاً استعارها في العقد الأخير. وتحوّلها، خصوصاً من جانب إسرائيل، من دائرة السرّ إلى العلن، وهو ما يناقض ماهية الحرب السيبرانية وأهدافها الرئيسة، وتحديداً بين الدول والكيانات الاقتصادية الكبرى المتنافسة أو المتعادية؛ والتي يُعدّ الكتمان جزءاً رئيساً منها. هكذا، تراجعت إسرائيل، في هذا المجال، من مستوى كيان دولتي إلى مستوى الهواة الهاكرز، في ما يستهدف على ما يبدو تسجيل انتصار ما في دائرة العلاقات العامة، مع فوائد محدودة جدّاً في سياق سعي الطرفين إلى الإضرار المادي ببعضهما البعض.

وعليه، لا يُعدّ ما يخرج إلى العلن تحت عنوان الهجمات السيبرانية المتبادلة بين إيران وإسرائيل، وتحديداً من ناحية الأخيرة، حرباً بالمعنى الكامل للكلمة، وإن كانت تأثيراتها الهواة الهاكرز في الكيان في عمليات الإزعاج تلك. ولعلّ هذا هو أبرز ما يميّز الفصول المتجدّدة من الحرب السيبرانية، والتي تستبطن دلالات عدّة في شأن تموضع طرفي المواجهة واقتدارهما الفعلي. والحقيقة أن تراجع إسرائيل إلى مستوى الهواة الهاكرز، لم يأتِ من فراغ، بل هو نتاج فذلكة جديدة صادرة عن دوائر القرار في تل أبيب، تشير، بحسب ما سرّبته جهات استخبارية حديثاً، إلى أن «من شأن الهجمات السيبرانية على إيران، ومنها الهجمات ضدّ محطات الوقود، أن تثير الرأي العام الإيراني، وتحديداً الطبقة الوسطى التي ستهتزّ لديها الثقة بالنظام وتثور ضدّه، وهو أقصر طريق للتخلّص من هذا النظام».

هل وصلت إسرائيل فعلاً إلى اتّخاذ قرار كهذا؟ جميع المؤشّرات إلى الآن تؤكد ذلك، مُظهِرة في السياق عدّة دلالات أبرزها ما يلي:

1- فقدان إسرائيل الأدوات والوسائل العنفية التي تمكّنها من تحييد مواضع التهديد الإيراني المتشكّل، أو ذلك الذي يبدو في طور التشكّل.

2- فقدانها، أيضاً، القدرة على تفعيل خيارات بديلة، من شأنها أن تؤدي إلى النتيجة التي كانت تأمل بها، لو كان لديها خيار عسكري ذاتي ناجح.

3- فقدان القدرة، وإن بعد محاولة ودفع تحريضي كبيرَين، على التأثير في قرار الإدارة الأميركية المنكفئة عن تفعيل الخيارات العسكرية ضدّ إيران أو حتى التهديد بها، لأسباب ودوافع ذاتية واستراتيجية يصغر في موازاتها أيّ تحريض إسرائيلي.

من هنا، تلهف القيادتان السياسية والأمنية في تل أبيب إلى تحقيق «شيء ما»، في سياق العجز عن تحييد التهديد الإيراني المتعاظم، والذي يكتسب أبعاداً وجودية بالنسبة إلى إسرائيل. وفي سبيل إنجاز هذا التطلّع، يجري توسيع مهمّة الاستخبارات الإسرائيلية، كي تُسجّل إنجازات، ولو بحدود العلاقات العامة، ضدّ الإيرانيين، بما يؤدّي، ربّما، إلى التخفيف من وطأة الفشل وتأثيره داخل الكيان العبري نفسه، قبل أعدائه.

> تعتقد إسرائيل أن من شأن الهجمات السيبرانية أن تثير الطبقة الوسطى الإيرانية ضدّ النظام

في قرار الإدارة الأميركية المنكفئة عن تفعيل الخيارات العسكرية ضدّ إيران أو حتى التهديد بها، لأسباب ودوافع ذاتية واستراتيجية يصغر في موازاتها أيّ تحريض إسرائيلي.

من هنا، تلهف القيادتان السياسية والأمنية في تل أبيب إلى تحقيق «شيء ما»، في سياق العجز عن تحييد التهديد الإيراني المتعاظم، والذي يكتسب أبعاداً وجودية بالنسبة إلى إسرائيل. وفي سبيل إنجاز هذا التطلّع، يجري توسيع مهمّة الاستخبارات الإسرائيلية، كي تُسجّل إنجازات، ولو بحدود العلاقات العامة، ضدّ الإيرانيين، بما يؤدّي، ربّما، إلى التخفيف من وطأة الفشل وتأثيره داخل الكيان العبري نفسه، قبل أعدائه.

> تعتقد إسرائيل أن من شأن الهجمات السيبرانية أن تثير الطبقة الوسطى الإيرانية ضدّ النظام

تشكيكٌ متنامٍ في الحرب الجديدة: «قشدة طهران» لن تخضع

قاسم س. قاسم

رغم تصعيدها استراتيجيتَها الهجومية، في مجال السايبر، ضدّ إيران، تتعاظم مخاوف إسرائيل من تداعيات هذه الحرب عليها. مردّ هذا أن الكيان العبري يعتمد بشكل كبير على الحوسبة، ويُعدّ متطوّراً تكنولوجياً، ممّا يعني أنه متحكّم بالأهداف التي يمكن قرصنتها. هكذا، تبدو إسرائيل أقرب إلى «جنّة بالنسبة إلى المهاجمين الذين يسعون لحصولها على المعلومات أو يلحقوا الأضرار» بالكيان، كما يقول المحلّل العسكري لصحيفة «إسرائيل اليوم» بالكين، الذي يؤكد أنه «رغم العقوبات الشديدة التي فُرضت على إيران في السنوات الأخيرة، والتوتّرات والمصاعب الداخلية، ينجح النظام في إيران في الحفاظ على استقرار سلطوي، وفي جهاز الأمن لا يلاحظون في هذه المرحلة احتمال عصيان مدني ذي مغزى».

وتجلّى الارتقاء الإسرائيلي في الحرب السيبرانية، أخيراً، في الهجوم الذي شنّه العدو قبل أشهر على شبكة المترو في طهران، ما أدّى إلى تعطّلها، فضلاً عن تعرّض محطات الوقود نهاية الشهر الماضي لهجوم سيبراني تسبّب بإيقاف ما يقارب 4 آلاف محطة. كان وعلى رغم الإصرار الإسرائيلي على تفعيل تلك السياسة والمُضيّ فيها، إلّا أن أغلب المحلّلين العسكريين يشكّكون فيها، معتبرين التبجّح بالهجمات السيبرانية ضدّ إيران عديم الجدوى، وأن استهداف الطبقة الوسطى لن ينعكس سلباً على النظام. وفي هذا السياق، نبّه عضو «الكنيست» السابق، عوفر شيلح، في مقال في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، إلى أن «ضغوطاً مثل هذه تدفع الناس فقط ليتكاتفوا معاً، وبالتأكيد هذا ما سيحصل في إيران، الدولة ذات الإحساس التاريخي، العزّة الوطنية، والنظام الذي عينه مفتوحة وبده ثقيلة. لم تُخضع عقوبات ترامب إيران؛ فلماذا يعتقد أحد ما بأن طوابير الوقود ستفعل ذلك؟». ولفت شيلح إلى أن «الجمهور الإسرائيلي لا يقلّ دلالاً عن النخبة الإيرانية، ولكن إذا ما سُلّت عملية سايبر ذكية من الإيرانيين أو من الفلسطينيين، آلة القهوة في شمال تل أبيب، فسيكون هناك احتجاج ضدّ سياسة إسرائيل في المناطق (الضفة المحتلة)».

القناعة بأن الهجمات السيبرانية لن توقف البرنامج النووي الإيراني، عبّر عنها، أيضاً، المحلّل العسكري لصحيفة «إسرائيل اليوم»، أيال زيسر، بقوله إن الضربات الإلكترونية الإسرائيلية تؤدّي إلى «تأثير البرنامج، دون إلغائه». إلّا أن زيسر تخوّف من أن «تؤدي بعض الهجمات الإيرانية إلى إزهاق الأرواح، وهكذا فإن الحرب الإلكترونية ليست لعبة، ولا يقتصر الأمر على تعطّل إشارات المرور فقط، ولا حتى هجوم على نظام الكمبيوتر في مستشفى هيلل يافه لابتزاز الفدية، بل يمكن أن تسفر الهجمات الإلكترونية عن سقوط أرواح بشرية، ووقوع خسائر اقتصادية هائلة». وفي الاتّجاه نفسه، نبّه المراقب العام للدولة، متنياهو إنغلمان، في مقابلة مع صحيفة «معاريف»، إلى أنه مع «اشتداد ذروة الهجمات السيبرانية المتبادلة بين طهران وتل أبيب، تتزايد المخاوف الإسرائيلية من عدم الجاهزية الكافية لإمكانية رفع إيران لوتيرة استهدافاتها لمختلف المواقع المدنية والعسكرية، ما قد ينجم عنه أضرار كبيرة وخسائر فادحة». وأشار إنغلمان إلى أن إسرائيل توجّه ضربات قد تكون أكثر فتكاً باتجاه الأهداف الإيرانية، إلا أنه ثمّة «خشية إسرائيلية من أن تتسبّب الهجمات الإيرانية بأحداث شلل كبير في المُقدّرات الاقتصادية والتقنية الإسرائيلية، سواءً المصارف أو المشافي أو المؤسسات التجارية والبنى التحتية»، وعن جاهزية كيان العدو لمثل هذه الهجمات، قال إنغلمان إن «الإجابة الدقيقة عن مدى استجابتنا للتهديد الإلكتروني هي لا، بدليل أنه منذ عام 2019 وقعت في إسرائيل 245 ألف جريمة إلكترونية، بما فيها التشهير والتحرّش الجنسي والسطو وغير ذلك».

تجلّى الارتقاء الإسرائيلي في الحرب السيبرانية في الهجوم الذي شنّه العدو على شبكة المترو في طهران (أ ف ب)

حرب أمنيّة روسيّة ـ أميركيّة: جيمس بوند لم يمُت

وليد شرارة

في كتاب صدر في عام 2004، بعنوان «هوليوود، البنتاغون وواشنطن»، أي في أوج ما سُمّي «الحرب على الإرهاب»، لفت الباحث الفرنسي، جان ميشال فالتان، إلى الوظيفة الأيديولوجية للصناعة السينمائية الأميركية، وكيفية تعبيرها عن التوجّهات الاستراتيجية السائدة في الدولة العميقة الأميركية، وتحديداً في المؤسّستين الأمنية والعسكرية. مراجعة سريعة للأفلام المنتَجة في تلك الفترة، وكذلك للمسلسلات التلفزيونية، تُظهر كيفية احتلال «الإرهابي العربي و/أو المسلم» دور «الشرير»، في مكان العميل السوفياتي الذي احتلّ الموقع إياه، خلال الحرب الباردة. كنّا في زمن التهديد الصادر عن مجموعات غير دولتيّة. اختلفت الظروف، الآن، وباتت الأجهزة الأمنية للمنافسين الاستراتيجيين ـ وهم في ميدان الأمن، لا الاقتصاد، الأجهزة الروسية أولاً ومن ثمّ الصينية ـ هي المتّهمة باستهداف مؤسّسات ومصالح ومواطني الولايات المتحدة. «هافانا وإصطياد الضبّاط الأميركيين على صعيد عالمي» هو عنوان مقالٍ نشر على موقع «ذي سايفر بريف»، لثلاثة مسؤولين سابقين في الاستخبارات الأميركية: بول كولب، الذي خدم لـ 25 سنة في قيادة العمليات في الوكالة، ومارك بوليميروبولس، الذي عمل لـ 26 سنة في الوكالة، وجون سايفر الذي كان عضواً في جهاز عمليّاتها السرية لمدة 28 عاماً. تناول المقال سلسلة استهدافات ضدّ أكثر من 200 عميل للوكالة، بدءاً من عام 2016. المعطيات الواردة فيه تشي بأنّ حرباً أمنية حقيقية تدور على صعيد عالمي، أشرس من تلك التي دارت أيام الحرب الباردة، بين القوّتين العظميَين اللّتين فضّلتا، آنذاك، الصراع بالوكالة تجنّباً للصدام المباشر، وتشبه إلى حدّ كبير عالم جيمس بوند، العميل البريطاني الأسطوري، الذي أشخن في السوفيات وانتصر دائماً عليهم في أفلامه. لكن الواقع راهناً، هو أن جميع ضحايا الحرب الأمنية الهجينة، حتى الآن، هم من الأميركيين.

أول تصريح رسمي يقرّ بوقوع هجمات ضدّ ضبّاط ومسؤولين في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، صدر عن مديرها، ويليام بيرنز. وعن نائبه دايفيد كوهين، اللذَين أقرّا في 21 أيلول الماضي، بإصابة عدد كبير من عملاء الوكالة بـ«متلازمة هافانا»، وبينهم أحد مساعدي بيرنز، خلال سفره معه إلى الهند. أكثر من 200 موظف في الوكالة، في العديد من مدن العالم، وبينها موسكو وفيينا وبلغراد وهانوي، عانوا من هذه المتلازمة التي من بين أبرز أعراضها، الصداع الحاد واختلال شديد في التوازن وتشوّش في الرؤية وشعور دائم بالغثيان، اتّضح أنها جميعها ناجمة، بعد خضوعهم لفحوصات طبّية، عن أعطاب كبيرة في أنسجة الدماغ. أُطلق على هذه العوارض تسمية متلازمة، لأن الحالات الأولى التي تمّ الكشف عنها، في عام 2016، هي لعملاء للوكالة أصيبوا بها في العاصمة الكوبية، غير أن دائرة الإصابات اتّسعت لتشمل بلداناً أخرى من العالم. يجزم كتّاب المقال الثلاثة، كولب وبوليميروبولس وسايفر، نقلاً عن «الأكاديمية الوطنية للعلوم» في الولايات المتحدة، بأن تلك الأعطاب الدماغية ناتجة من استهداف العملاء المذكورين بأسلحة طاقة موجّهة، تبدّ ذبذبات مايكروويف. لا تملكها سوى دول، كالولايات المتحدة وروسيا والصين، وعدد آخر محدود من البلدان. وبما أن الكتّاب الثلاثة ليس لديهم أدلّة قطعية على مسؤولية روسيا عن مثل هذه الأفعال، فهم يستندون إلى ممارسات شبيهة سابقة قامت بها لإدانتها تماماً. إذ يشيرون إلى أنها «أغرقت» السفارة الأميركية في موسكو بذبذبات المايكروويف، لعقود، وأن مسؤولين سابقين في الوكالة أكدوا أنها شنّت هجمات سيبرانية مشابهة على مسؤولية روسيا عن مثل هذه الأفعال، فهم يستندون إلى ممارسات شبيهة سابقة قامت بها لإدانتها تماماً. إذ يشيرون إلى أنها «أغرقت» السفارة الأميركية في موسكو بذبذبات المايكروويف، لعقود، وأن مسؤولين سابقين في الوكالة أكدوا أنها شنّت هجمات سيبرانية على بنى تحتية حيوية في أميركا وعلى شبكات الإنتاج، واغتالت معارضيها في الشوارع، مستخدمة سموماً نووية وكيميائية، وأقدمت على تخريب مخزن ذخائر في تشيكيا، وتورّطت في محاولة انقلابية في مونتينيغرو. هذا السلوك مردّه، وفقاً للمسؤولين السابقين المذكورين، إلى اقتناع روسيا بأنها في حالة حرب مع الغرب.

طبعاً، لا يتطرّق الكتّاب الثلاثة إلى دوافع مثل هذا الاقتناع، كاستمرار استراتيجية الاحتواء، والتطويق الأميركية ضدّ روسيا، عبر الانتشار العسكري والصاروخي في جوارها، والإصرار على توسيع «الناتو» شرقاً، وصولاً إلى حدودها، من خلال السعي لضمّ أوكرانيا وجورجيا إليه، ومحاولات زعزعة استقرارها الداخلي. روسيا تفعل ما تفعله، على الرغم من أنه لا دليل على أنها من يفعل، لأنها «شريرة»، وليس لأنها، مع الصين، في دائرة الاستهداف الأميركي العلني! وبعد الانتهاء، من إعلان لائحة الاتهامات ضدّ روسيا، ينتقل العملاء السابقون الثلاثة إلى مجموعة من التوصيات لصنّاع القرار الأميركيين، وأهمّها تفعيل البند الرابع في ميثاق حلف «الناتو»، واعتبار أن روسيا تشنّ حرباً غير تقليدية على دولة عضو في الحلف، وزيادة الانتشار العسكري الأميركي في بولونيا ودول البلطيق ومنطقة البحر الأسود، وكذلك تطوير تسليح وتدريب الجيش الأوكراني. ويضيفون إن المطلوب هو الحدّ من تدفّق السيّاح ورجال الأعمال الروس نحو بلدان الغرب، لأن بينهم، بحسب رأيهم، العديد من عملاء الاستخبارات، واللجوء إلى عقوبات مالية ومصرفية صارمة بحق الشركات والأفراد المتورّطين في أنشطة مناهضة للغرب، أمنية كانت أو إعلامية. من الواضح أن المنطق الذي يحكم مقاربتهم، هو الذي يفترض أن الرد الأمثل على أيّ عمل يصنّف عدائياً، هو الانتقال إلى طور أعلى من المواجهة. بكلام آخر، إذا كانت روسيا تستهدف عملاءنا لأنها ترى أننا نسعى إلى استكمال تطويقها عسكرياً، فإن علينا المُضيّ قدماً بهذه الاستراتيجية. وبمعزل عمّا إذا أخذ صنّاع القرار الأميركيون بجميع هذه التوصيات، أو ببعضها، فإن الأكيد هو أن «الروسي» و«الصيني» سيحتلّان، مجدّداً، دور الشرّير في أفلام الجاسوسية الأميركية، وأن أبطالاً كجيمس بوند، أو غيره سيذودون عن حياض الغرب في مواجهتهم!

المواجهة الذكيّة تشغل إيران: الهجوم بدلاً من الدفاع

هادي أحمد

تعود بداية الحرب السيبرانية بين إسرائيل وإيران إلى أكثر من خمس عشرة سنة، وتحديداً إلى عام 2004 عندما دعا رئيس جهاز «الموساد» (2002 - 2010)، مائير داغان، ونائبه تامير باردو، إلى اجتماع حضره قادة أجهزة الاستخبارات الأخرى لمناقشة كيفيّة إيقاف المشروع النووي الإيراني. في خلال الاجتماع، قدّم داغان خطّة من مجموعة نقاط تتضمّن الضغط الدبلوماسي والعقوبات، لكنها تُركّز على تعزيز العمليات السرية والنوعية، من مثل استخدام القدرات التكنولوجية الإسرائيلية في شنّ هجمات سيبرانية ضدّ المنشآت النووية الإيرانية. ترجمة ذلك سرعان ما تجلّت في عملية «Stuxnet» التي بدأ العمل عليها عام 2005، من أجل استهداف وحدات نظام التحكّم الصناعي في إيران. عقب إطلاق تلك العملية، بدأ الهجوم الإلكتروني بالتوسّع عام 2007، إلى أن تمّ اكتشافه في 2010. ثلاث سنوات تمكّن الإسرائيليون في خلالها من التخفّي، واستغلال العديد من نقاط الضعف لإصابة البنى التحتية الحيوية الإيرانية، ولا سيّما منشأة نطنز النووية، من دون ظهور أيّ أعراض. ولذا، صُنّف «Stuxnet» كسلاح، لا كهجوم إلكتروني فقط، علماً أنه طُوّر بتعاون أميركي - إسرائيلي، وبمساهمات هولندية وألمانية أيضاً.

أدّى هذا الهجوم إلى تسريع جهود إيران الإلكترونية، قبله، عام 1993، كانت إيران من أولى الدول في المنطقة التي رُبطت بشبكة الإنترنت، حيث انطلق العمل بها في المؤسّسات الحكومية وشبكات الاتصالات الأكاديمية فقط. ثمّ بعد فترة، بدأ تقديم الخدمات التجارية عبر خدمة الإنترنت، التي تطوّرت شيئاً فشيئاً، حتى عمّت جميع أنحاء البلاد في شباط 1995. ما بين عامَي 2005 و2006، أعلنت وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات سعيها إلى بناء شبكة إنترنت وطنية، لكن خطّتها لم تلقَ النجاح المطلوب، وهو ما ثبّت مع أزمة الانتخابات الرئاسية عام 2009، حيث اتّخذت «الحركة الخضراء» من الإنترنت وسيلة لتنظيم احتجاجاتها. وليبدأ عقب ذلك فرض القيود التي حجبت مواقع بالكامل من مثل «غوغل» و«فيسبوك»، توازياً مع انطلاق النقاش داخل مراكز الدولة حول الرقابة على الإنترنت.

بدأ التخطيط لـ«إنترنت آمن وفعال» عام 2010، حيث أدخلت وزارة تكنولوجيا الاتصالات مفهوم «الإنترنت الحلال والنظيف»، كما طوّرت جدار حماية ذاتياً تحت شعار «أمن الإنترنت القومي»، عبر إنشاء وحدة تضمّ 8000 موظف لتكنولوجيا المعلومات. وبالتوازي مع ذلك، اكتُشفت عملية «Stuxnet» في شهر تموز عام 2010، بالتعاون مع باحثين سيبرانيين من بيلاروسيا، ليبدأ مذّاك التحوّل من الدفاع إلى الهجوم.

نقطة تحوّل

سريعاً، وجدت إيران نفسها في قبالة حرب إلكترونية شرسة من قِبَل الولايات المتحدة وإسرائيل. ولذا، وبدلاً من العمل على الإستراتيجيات الدفاعية فقط، حدّدت سياسات هجومية، من ضمنها العمليات الأمنية الإلكترونية وأنشطة التجسّس الإلكتروني ضدّ واشنطن وتل أبيب. وعليه، أُنشئ «المجلس الأعلى للفضاء السيبراني»، بتوجيهات من المرشد الأعلى علي خامنئي، وأنيطت به مهمّة حماية الناس والدولة والفضاء السيبراني من أيّ تهديدات إلكترونية داخلية أو خارجية. وبعده، تأسّست «منظّمة الدفاع السلبي الوطنية» بهدف تحصين البنية التحتية الوطنية الحيوية لإيران من الهجمات الإلكترونية، فضلاً عن «المنظّمة الوطنية للدفاع السيبراني الوطني»، ومنظّمات أخرى تابعة لـ«الحرس الثوري» و«الباسيج».

أمّا المنظّمات غير الرسمية، التي أُنشئت تحت كنف الدولة لتنفيذ عمليات سيبرانية، فقد كانت أبرزها «CSJ» التي بدأت العمل عام 2012، ولفتت الأنظار بعملية إلكترونية استهدفت شركة «أرامكو» النفطية في السعودية في العام المذكور، وهو ما أدّى إلى محو عشرات الآلاف من بيانات الشركة، في ما مثّل أوّل نشاط تجسّس إلكتروني محترف تقوده إيران. وإلى جانب «CSJ»، تأتي «QCF» التي شنّت هجمات ضدّ المؤسّسات المالية في الولايات المتحدة بين عامَي 2012 و2013. أمّا المجموعة الثالثة فهي «TA407»، التي تُعدّ من أكثر المنظّمات نفوذاً في المجال الإلكتروني في إيران، والتي تأسّست عام 2013، واتّهمت بتوفير الأموال لمجموعات القرصنة وتنسيق عمليات القرصنة التي استهدفت أكثر من 100000 أكاديمي من جامعات مختلفة في 21 بلداً، لجمع معلومات استخبارية لصالح «الحرس الثوري»، والحصول على وثائق أكاديمية وبيانات هامّة من أفضل الجامعات في العالم.

ولم تكتفِ إيران بتلقّي مساعدة من خبراء بيلاروسيين، بل اتفقت مع الصين، في عام 2013، على تطوير شبكة إنترنت وطنية، تُعرف باسم «SHOMA»، وهي شبكة مستقلّة عن شبكة الويب العالمية. ومع بدء حكم الرئيس الإيراني السابق، حسن روحاني، عام 2013، تضاعفت ميزانية أعمال السايبر 12 مرّة، ما جعل إيران من الدول الأكثر تطوّراً على هذا الصعيد.

حربٌ بلا قواعد

صنّفت إسرائيل، إيران، عام 2017، من بين الدول الأكثر نشاطاً في المجال السيبراني، بحسب رئيس «الهيئة الوطنية السيبرانية الإسرائيلية» يغال أونا، الذي أشار إلى أن الإيرانيين يعملون باستمرار منذ زمن بعيد على شنّ هجمات واسعة النطاق ومدمّرة. وفي عام 2019، أجرت شركة «مايكروسوفت» مسحاً وثّق هجوم سايبر إيران، خلال عامَي 2017 و2018، على آلاف الإسرائيليين، وأكثر من 200 شركة تابعة لهم في أنحاء العالم. لكن الهجوم الأكبر كان في 24 نيسان من العام الماضي، بعدما استهدفت إيران، إلكترونياً، مرافق المياه والصرف الصحّي في إسرائيل، وسيطرت على منظومات ضخّ المياه. ليبرز حينها خطر تصعيد الهجوم بما يؤدّي إلى تغيير أنظمة نسب الكلور في مرافق معالجة المياه، الأمر الذي كان سيتسبّب بحالة تسمّم عامة. في المقابل، شنّت إسرائيل، قبل أسابيع، هجوماً إلكترونياً أدى إلى تعطيل نظام شراء البنزين في معظم المدن الإيرانية. وعلى إثر ذلك، أعلن الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي، أن «علينا أن نكون مستعدّين بجدّية في مجال الحرب السيبرانية»، فيما جاء الردّ العملي عبر مجموعة تطلق على نفسها «عصا موسى»، عمدت إلى اختراق أجهزة تخزين إلكترونية تابعة لأحد ألوية الجيش، ونشر عدد من ملفّاتها التي تحوي بيانات مئات الجنود.

هكذا، وبعدما كانت الحرب الإلكترونية بين إيران وإسرائيل محصورة باستهداف المراكز العسكرية والأمنية والحكومية، انتقلت فصولها إلى مجالات تُعدّ مرتبطة بشكل مباشر بالمدنيين، وهو ما يفتح الباب على سيناريوات بلا قواعد، ويجعل هوامش الخطأ أوسع وأخطر.

السودان

عشية تظاهرة «مليونية» دعا إليها رافضو الانقلاب في السودان اليوم، اتّخذ عبد الفتاح البرهان خطوة جديدة على طريق محاولاته تسويف انقلابه لدى الأطراف الغربيين. وهو ما تجلّى خصوصاً في ضمّه ممثلي أقلّيات ومتصهينين إلى مجلس السيادة الجديد الذي شكّله بزعامته. وإذ لم تلقَ خطوته تلك إلّا الرفض على جبهة الأحزاب والقوى المُطاح بها منذ 25 تشرين الأوّل المقبل، فهو يُظهر على رغم ذلك، عزماً على المُضيّ في تثبيت سلطته، ولو تطلّب الأمر دوّامة عنف جديدة. يبدو أنها حاول إكسابها شرعية مسبقاً، عبر استيلاد كيان هجين سيكون من مهامّه إصدار أيّ أوامر مستقبلية باستخدام القوّة

شراكة على مقاس العسكر
مجلس الميليشيات والمتصهينين

يخرج السودانيون اليوم في تظاهرات حاشدة ضد المجلس العسكري الانقلابي (أ ف ب)

الخرطوم - **عبد الجليل سليمان**

استبق قائد الانقلاب العسكري في السودان، عبد الفتاح البرهان، التظاهرات المنتظرة اليوم تحت شعار «مليونية إسقاط المجلس العسكري الانقلابي»، بتشكيل مجلس سيادي جديد، على طريق محاولاته إعادة إشراك المدنيين في السلطة، ولو بالتحايُل، في وقت لا يزال فيه مئات السياسيين في المعتقلات، ومن ضمنهم رؤساء أحزاب ونقابيون ووزراء في الحكومة المعزولة، التي يقبع رئيسها، عبدالله حمدوك، في الإقامة الجبرية في منزله. وفي قراءتها لخطوة البرهان، رأت فيها «قوى الحرية والتغيير» محاولة لـ«قطع الطريق أمام الجهود الداخلية والخارجية لتجاوز الأزمة وعودة الأمور إلى نصابها»، عادّةً قراره إنهاء تجميد بعض مواد الوثيقة الدستورية، «عبثاً لا يستحق الالتفات إليه، باعتبار أن القرارات الصادرة عن وضع غير دستوري». من جهته، ناشد المتحدّث باسم «تجمّع المهنيين السودانيين»، مهند مصطفى النور، السودانيين «التصعيد ضدّ المجلس السيادي الجديد وإسقاط الانقلاب والمكوّن العسكري، والعمل على إعادة الجيش إلى ثكناته، وإخلاء المجال السياسي للمدنيين»، فيما وصف وزير الثقافة والإعلام المعزول، حمزة بلول، قرار البرهان الجديد بأنه «امتداد للإجراءات الانقلابية»، معرباً عن ثقته «بقدرة الشعب السوداني على حسم الانقلاب وتصفية آثاره واستعادة كلّ مكتسبات ثورة ديسمبر المجيدة».

ممثّلو أقاليم مغمورون

وبلغت الناشط السياسي في «المقاومة الشعبية»، عبدالله أبكر، مستمرّة، فالشارع يرفضهم رفضاً قاطعاً، ومستعدّ للتضحية من أجل استعادة الانتقال الديمقراطي»، متابعاً أنه أمام هذا الوضع «ليس أمام الانقلابيين سوى العمل على تأسيس شرعية قائمة على القمع والعنف والإرهاب، ولربّما ستجري إعادة تشكيل وحدة العمليات

> ضمّ المجلس السيادي الجديد أبو القاسم برطم، أحد أبرز دعاة التطبيع مع إسرائيل

المحلولة التابعة لجهاز أمن ومخابرات البشير، المتخصّصة في قمع وتعذيب المعارضين، وقد جرى حلّها بعد سقوط النظام مباشرة وتسريح أعضائها من كوادر الإخوان المسلمين، أو إيكال الأمر إلى ميليشيا الدعم السريع المتّهمة بارتكاب مذبحة فضّ اعتصام القيادة العامة»، مستدركاً بأن هذه الإجراءات، إن حصلت، فلن تجدي نفعاً بعد أن «تحوّلت المقاومة الثورية إلى فعل يومي وأسلوب حياة لمئات الآلاف من الشباب».

شرعنة العنف

بدورها، تعتقد الباحثة السياسية، رانيا الفاتح، أن قرار تعيين مجلس سيادي جديد، قبل احتجاجات 13 تشرين الثاني، يستهدف «إكساب العنف نوعاً من الشرعية، بحيث تُصدر أوامر استخدام العنف المفرط تجاه المتظاهرين عن مجلس السيادة عوضاً عن قيادة الجيش». وتعتبر الفاتح، في تصريح إلى «الأخبار»، أن هذه الخطوة «تغلق الباب أمام الوساطات الداخلية والخارجية الساعية لإيجاد معادلة أو تسوية سياسية جديدة، تعيد الأوضاع إلى صيغة ما قبل الانقلاب». وترى أن الانقلابيين من جهة، وأنصار التحوّل المدني الديمقراطي من الجهة المقابلة، «قرّروا خوض المعركة حتى نهايتها»، مضيفة أن رافضي الانقلاب سيجدون أنفسهم في «مواجهة طويلة ومكلفة أمام عدّة جهات مسلحة، مثل الجيش الحكومي وميليشيا الدعم السريع (الجنجويد) والميليشيات التابعة للحركات المسلّحة الموقّعة على اتفاق جوبا وميليشيات نظام الإخوان المسلمين». ولذا، تعرب عن خشيتها من أنه «إذا لم تتمكّن التجمّعات المدنية والثورية من إسقاط الانقلاب واستعادة المجال السياسي بسرعة، فإن السودان سيشهد حروباً أهلية طاحنة، ما سيفضي إلى تفكيك الدولة السودانية الهشّة، وتحويل البلاد إلى ساحة معركة ضروس بين لوردات الحرب والقبائل وساحة لكلّ الحركات الجهادية والمتطرفة من كلّ أنحاء العالم».

من جهته، يعتبر المحلّل السياسي محمد إبراهيم، أن القرارات الأخيرة «ستؤدي إلى تقوية المعارضة، إذ يُتوقّع تشكيل تحالف موسّع للمعارضة، يضمّ إلى جانب الأحزاب السياسية المدنية، ولجان المقاومة الثورية وتجمع المهنيين، حركتَي جيش تحرير السودان بقيادة عبد الواحد محمد نور، والحركة الشعبية لتحرير السودان/ شمال بقيادة عبد العزيز الحلو، اللتين لم تُوقّعا على اتفاق جوبا للسلام، وناهضتا الانقلاب في بدايته، ودعتا جماهيرهما إلى الخروج ضدّه». ويضيف إبراهيم، في حديث إلى «الأخبار»، أن هذا التحالف، في حال تأسيسه، «سيحظى بدعم شعبي كبير ومساندة دولية». في المقابل، يرى أن «الانقلابيين سيعيدون البلاد إلى زمن العزلة الدولية التي عانى منها الشعب السوداني زهاء عشرين عاماً في ظلّ النظام البائد»، بعد أن هدّدت كلّ من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وبعض الدول الغربية ومؤسّسات التسليف العالمية كالبنك والصندوق الدوليَّين بالتخلّي عن تعهداتها بإعفاء السودان من الديون وإقراضه، إذا لم تَعُد الحكومة المدنية بقيادة حمدوك، كما هدّدت بإعادة فرض الحصار الاقتصادي على البلاد مُجدّداً.

البرهان و«السيناريو المثالي»
أدوات التسوية جاهزة

أعلن عبد الفتاح البرهان تشكيل مجلس سيادة جديد في السودان. وأعقب خطوته تلك بخطوات أخرى ذات دلالات. بالتوازي مع الحديث عن جهود دولية تُبذل لإنهاء الأزمة الراهنة في البلاد. عبر تسوية تعيدها إلى ما قبل 25 تشرين الأول الماضي. وفيما لا يمانع الأميركيون، في إطار تلك التسوية، بقاء العسكر على رأس السلطة شرط عدم تفرّدهم فيها. يحاول البرهان إعادة المدنيّين إلى واجهة الحُكم، مع ضمان أن تكون مشاركتهم فاعلة، مايرجّح إمكانية عودة عبد الله حمدوك إلى رئاسة الحكومة في الفترة الانتقالية الجديدة

حمزة الحَنَسا

إلى الآن، تمرّ خطوة عبد الفتاح البرهان، تشكيل مجلس سيادة جديد في السودان، بـ«سلاسة»، على الرغم من أنها استدعت ردود فعل داخلية وخارجية متباينة. إلّا أن ثمّة مَن يرى في كلّ ما الفعل ورَدّ الفعل «سيناريو مثالياً» للتمهيد للعودة إلى ما كان عليه المشهد السياسي قبل 25 تشرين الأول. ضمّ المجلس السيادي الجديد 13 عضواً (يمّن فيهم البرهان رئيساً، ومحمد حمدان دقلو (حميدتي) نائباً للرئيس)، من بينهم 9 كانوا في المجلس السابق، و4 جدد حلّوا محل المنتمين إلى قوى «الحرية والتغيير» في المجلس السابق، فيما تمّ تأجيل تسمية ممثّل شرق السودان إلى حين إجراء «مزيد من المشاورات»، على ما أعلن التلفزيون السوداني. وعلى الرغم من كون معظم أعضاء المجلس الجديد هم من المشاركين في المجلس القديم، إلا أن مقرّبين من البرهان يثنون على التشكيلة الجديدة على اعتبار أنها «تراعي التنوّع الإثني والجهوي بعيداً عن الاعتبارات الحزبية» التي كانت متّبعة في تشكيل المجلس السابق.

سريعاً، أعقب البرهان خطوته بأخرى ذات دلالات أيضاً؛ فبعد ساعات على إعلان تشكيل مجلس السيادة، قرّر إنهاء تجميد عدد من المواد في الوثيقة الدستورية، تتعلّق بالمجلس وصلاحياته ومهامه، ومجلس الوزراء ومهامه، مستثنياً عبارة «الحرية والتغيير» من كلّ البنود التي أنهى تجميدها. ولاحقاً، شدّد البرهان على ضرورة الإسراع في تشكيل «حكومة كفاءات مدنية ديمقراطية» تمثّل تطلّعات الشعب. وتأتي هذه الإجراءات المتسارعة بالتزامن مع ضغوط سياسية واقتصادية تُمارَس على العسكر من أجل التعجيل في «إعادة بناء الشراكة مع المدنيين»، وإرساء «تسوية تعيد المسار السياسي في البلاد إلى ما كان عليه قبل انقلاب 25 تشرين الأول»، على ما تقول مصادر دبلوماسية مواكبة لـ«الأخبار».

لا يمانع الأميركيون، في إطار تلك التسوية المفترضة، بقاء العسكر على رأس السلطة في السودان، شرط عدم تفرّدهم فيها، وبالتالي إعادة الحياة للوثيقة الدستورية التي تمّ إقبارها إثر الإطاحة بسلطة عمر البشير في آب 2019، والتي تضمّنت صيغة الحُكم في الفترة الانتقالية عبر تقسيم السلطة بين مجلس السيادة

> لا يمانع الأميركيون بقاء العسكر على رأس السلطة في السودان شرط عدم تفرّدهم فيها

ومجلس الوزراء المشكّلَين من خليط من العسكر والمدنيّين. لكن مشكلة البرهان مع الوثيقة الدستورية، تكمن في الشقّ المتعلّق بالتمهيد لتسليم السلطة إلى المدنيين عند انتهاء المرحلة الانتقالية. وهذا ما يفسّر عدم الجدّية لدى العسكر في نقْل السلطة ضمن المهل الدستورية، واستمرار خلق الأزمات ومفاقمتها بما يخدم هدف تحويل الوضع الانتقالي إلى وضع دائم.

اليوم، يحاول البرهان وصَحبه، عبر إنتاج مجلس سيادة جديد، إعادة المدنيين إلى واجهة الحُكم، لكن مع ضمان أن تكون مشاركتهم هذه «شكلية وغير فاعلة». وعليه، ترجّح المصادر أن لا يمانع البرهان عودة عبد الله حمدوك إلى رئاسة الحكومة في الفترة الانتقالية الجديدة، على أن يُشكّلها من غير المسيَّسين (التكنوقراط)، مشيرة إلى أن هذا الأمر كان موضع بحث موفدين من البرهان، التقوا حمدوك في الأيام الأخيرة. إبقاء السلطة في يد العسكر هو هدف دائم في السودان، على اعتبار أنه في سياق التعاقب على السلطة على مدى 65 عاماً من عمر الاستقلال، خضعت البلاد للحُكم العسكري طيلة 53 عاماً. وبالتالي، فإن ما يسعى إليه اليوم البرهان وفريقه، ينسجم تماماً مع السياق التاريخي لتداول الحُكم في البلاد، وهو وفقاً للظروف الراهنة، يلائم النموذج الذي يحاول المعسكر الأميركي - الإسرائيلي وفريقه العربي تطبيقه في المنطقة بعد موجات «الربيع العربي»، بما يخدم الهدف الكبير المتمثّل في إعادة بناء النظام الإقليمي وفق حسابات وأولويات يرسمها هذا المعسكر، وعلى رأسها إدخال النظام الرسمي العربي في مسارات التطبيع كعنوان أساسي للمرحلة المقبلة.

ما يجري في السودان ليس معزولاً عمّا يجري في الإقليم، فالبلاد تقع على رادار الأزمات التي تعصف بدول وجيوش ومجتمعات يُراد لها أن تتغيّر جذرياً، في سياق مخطّط ترعاه الولايات المتحدة الأميركية، بالشراكة مع إسرائيل وبالتواطؤ مع دول عربية معروفة الدور والوظيفة، وهي دول للمصادفة تنامى نفوذها في السودان بشكل عميق ومتسارع، حتى باتت خيارات الفريق الحاكم في السودان، بصرف النظر عن هويته المدنية أو العسكرية، مرتهنة بشكل كامل لإملاءات هذه الأطراف، وإنْ بنسب متفاوتة بطبيعة الحال. ومن هنا، شكّل انخراط أهل الحُكم في السودان في مسارات التطبيع مع إسرائيل، بلا ضوابط ولا هوامش ولا حتى حسابات تتعلّق بالمصلحة السودانية حتى لو كانت ظرفية، نموذجاً واضحاً لالتحاق «السودان الجديد» بالركب العربي الذي نفّذ أجندة المعسكر الأميركي - الإسرائيلي في المنطقة.

بالنتيجة، يحتدم الصراع بين الرافضين لإجراءات البرهان الأخيرة والمؤيدين لها. وعلى أساس هذا الصراع، ينقسم المشهد السوداني بين «العسكر» بداعميهم الخارجيين، و«المدنيين» بداعميهم الخارجيين أيضاً، فيما تقبع البلاد في قلب أزمة متشعّبة متعدّدة الأبعاد تضع المسؤولين فيها أمام خيارين: إمّا الذهاب نحو تسوية هشّة ومؤقّتة، أو الدخول في صراع مفتوح مجهول النهايات والتداعيات.

مقربون من البرهان يثنون على التشكيلة الجديدة على اعتبار أنها تراعي التنوع الإثني والجهوي (أ ف ب)

اليمن

رسائل التراجُع الإماراتيّ غرباً: الحديدة مقابل مأرب؟

مع انسحاب الميليشيات الإماراتية من مناطق واسعة في أطراف مدينة الحديدة، تُطرح تساؤلات حول ما إذا كان في نيّة التحالف الذي تقوده السعودية، إغراء صنعاء بتوطئة أولية لخطّة سلام شاملة، تدفعها إلى وقف هجومها في مأرب، حتى لا يكون الفريق الموالي لـ«التحالف»، لدى جلوسه إلى طاولة المفاوضات، خالياً من أيّ أوراق قوّة. هذا الانطباع يبدو غالباً في أوساط المعنيّين في العاصمة، إلّا أنه لا يحجب تفسيرات أخرى، تبدو «كلمة السرّ» المشتركة في ما بينها جميعاً: معركة مأرب

جاء الانسحاب بعد يوم واحد من زيارة غروندبرج إلى الساحل الغربي ولقائه العميد طارق صالح (أ ف ب)

صنعاء - **رشيد الحداد**

فتَح قرار قيادة التحالف السعودي - الإماراتي سحْب الميليشيات الموالية لها من الأحياء الغربية والشرقية لمدينة الحديدة، نحو مديريات جنوب المحافظة، باب التكهّنات حول خلفيات هذه الخطوة ودلالاتها، وما إذا كانت مرتبطة، على نحو أو آخر، بمعركة مأرب، سواءً لناحية التحسّب لانتقال المواجهة إلى سواحل اليمن الجنوبية والشرقية، أو لجهة العمل على إعداد معقل بديل من مدينة مأرب، التي يبدو أن ثمّة تسليماً لدى «التحالف»، ومن ورائه، رعاته الغربيون، بأنها آيلة إلى السقوط في وقت قريب، أو حتى لمجرّد إغراء صنعاء بترتيبات تدفعها إلى وقْف هجومها هناك. اللافت، في هذا السياق، أن الانسحاب جاء بعد يوم واحد من زيارة قام بها المبعوث الأممي إلى اليمن، هانز غروندبرج، إلى الساحل الغربي، حيث التقى نجل شقيق الرئيس السابق علي عبدالله صالح، طارق صالح، لتتلقّى «القوات المشتركة» في الساحل الغربي وفي محيط مدينة الحديدة، إثر ذلك، أوامر عاجلة من الضابط الإماراتي، أبو خليفة سعيد المهيري، بالانسحاب إلى مدينة المخا، وفق ما تؤكّد مصادر محلية لـ«الأخبار».

وفي التفاصيل، توضح المصادر أن «ألوية العمالقة» بقيادة العميد أبو زرعة المحرمي، و«ألوية المشاة» بقيادة وزير الدفاع الأسبق اللواء هيثم قاسم طاهر، انسحبت، بكامل عتادها العسكري، من مناطق واسعة في أطراف مدينة الحديدة، أبرزها الصالح، كيلو 16، مجمّع إخوان ثابت التجاري، ومنطقة منظر الواقعة في محيط مطار الحديدة، ومناطق النخيلة والشجيرة وقضبة والجربية والطائف، ومناطق أخرى في مديرية الدريهمي. وأشارت المصادر إلى أن بعض تلك الميليشيات أعادت تموضعها في مناطق خلفية في أطراف الدريهمي باتجاه المديريات الجنوبية من المحافظة، فيما تلقّى «اللواء الخامس عمالقة» بقيادة أبو هارون اليافعي، و«اللواء السادس عمالقة» بقيادة ناصر قاسم الصبيحي، إشعاراً بنقلهما إلى مدينة عدن. في المقابل، لقي الانسحاب المفاجئ اعتراضاً من قِبَل ما تُسمّى «الألوية التهامية»، التي ينتمي معظم عناصرها إلى مديريات جنوب الحديدة، والتي رفضت إخلاء مواقعها، ليأتي ردّ قيادة «التحالف» بإلزامها بالتنفيذ الفوري، تحت طائلة تعرّضها للقصف في حال إصرارها على مخالفة الأوامر.

المفارقة أن العملية، التي تبدو متسارعة مع ما ينصّ عليه «اتفاق استوكهولم» الموقّع عام 2018، تمّت بغياب الفريق الأممي المعنيّ بالإشراف على تنفيذ الاتفاق، على رغم تواجد رئيسه الجنرال أباهيجيت جوها، وأعضائه، داخل مدينة الحديدة، وهو ما يثير تساؤلات حول سبب تجاهل الفريق الأممي، الذي لم يعلّق على خطوة «التحالف»، شأنه شأن ممثّلي صنعاء في لجنة التنسيق الخاصة بالمدينة. مع ذلك، تصف مصادر عسكرية في الساحل الغربي، ما حدث بأنه «إعادة تموضع للميليشيات الإماراتية تنفيذاً لاتفاق استوكهولم، وتفاهمات غير معلنة بهدف إنشاء منطقة (خضراء) منزوعة السلاح تشمل مديريات جنوب الحديدة، وإعادة فتح منطقة كيلو 16 شرق المدينة، والتي تضمّ طريقاً رئيساً يصل الحديدة بالعاصمة صنعاء ومحافظات أخرى».

وفي الإطار نفسه، يتحدّث البرلماني (عن كتلة محافظة الحديدة) الموالي لحكومة الرئيس المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي، محمد ورق، عن بدء تنفيذ ما وصفه بـ«اتفاق دولي يهدف لإغلاق ملفّ مدينة الحديدة»، مشيراً إلى أن «الاتفاق يقضي بالاكتفاء بقوات طارق المتواجدة في المخا لحماية الممرّات الدولية» في إشارة إلى باب المندب، و«إعداد خارطة جغرافية جديدة تتضمّن منح ما بين 2-3 كيلومترات شرق الساحل الغربي، وعلى امتداد جبهة الساحل التهامي من الخوخة إلى الدريهمي، لمصلحة قوات طارق، مع إبقاء الدريهمي منطقة خطّ تماس مع قوات صنعاء»، مضيفاً أن «عملية الفصل بين القوات ستتمّ بجدران من الأسلاك الشائكة، كما يتضمّن الاتفاق سحب الألوية التهامية إلى الوازعية تمهيداً لشنّ عملية عسكرية على تعز».

في المقابل، يعتقد أكثر من مصدر في صنعاء، التي سارعت قوّاتها إلى الانتشار في المناطق المُخلاة من قِبَل الميليشيات الإماراتية، أن هذا الانسحاب إنّما يمثّل «محاولة أممية مكشوفة لخطب ودّ صنعاء لوقف تحرير مدينة مأرب، مقابل تنفيذ خطّة سلام تبدأ برفع الحظر الجوي عن مطار صنعاء، وفكّ الحصار المفروض على ميناء الحديدة، ووقف التصعيد الجوي بين صنعاء والرياض، وصولاً إلى وقف شامل لإطلاق النار، والعودة إلى المفاوضات السياسية، مع احتمال عودة مقايضة تحالف العدوان صنعاء بالإبقاء على الحديدة (تحت سيطرتها) مقابل الإبقاء على مأرب (تحت سيطرة حكومة هادي) في حال فشلت هذه المساعي».

دلالات الانسحاب: سيناريوان محتملان

تضع مصادر مقرّبة من حركة «أنصار الله»، انسحاب الميليشيات المدعومة إماراتياً من مناطق واسعة في أطراف مدينة الحديدة ومحيطها، وآخرها مدينة التحيتا يوم أمس، في إطار سيناريوَين محتملَين: الأوّل، هو الانكفاء إلى الخطوط الخلفية، وصولاً إلى مدينة الخوخة، بهدف تحصين منطقة باب المندب بوجه أيّ محاولات مستقبلية لتدشين برنامج عمليّات هجومية فيها، في حال قرّر الجيش اليمني و«اللجان الشعبية» نقل المعركة بعد سقوط مدينة مأرب إلى السواحل الغربية والجنوبية لليمن؛ والثاني هو نقل الثقل العسكري للتحالف السعودي - الإماراتي باتجاه محافظة تعز، بهدف السيطرة عليها بشكل كامل، وجعلها بديلاً من محافظة مأرب، التي تمثّل آخر معاقل «التحالف» في الشمال.

فلسطين

المقاومة لأهالي الجنود الأسرى: اتّبعوا خُطى شاليط

في ظلّ ازدياد الضغط الذي تمارسه عائلات جنود الاحتلال الأسرى لدى المقاومة الفلسطينية، شدّد مصدر قيادي في المقاومة على أنه من أجل تحقيق مطالبها، يجب على هذه العائلات أن تُوجّه ضغوطها نحو حكومتها، منبّهاً إلى أنه لا الحرب ولا الحصار الاقتصادي على غزة، يمكن أن يساعدا بشيء في هذا المجال

غزة - **رجب المدهون**

تُدرك عائلات الجنود الأسرى لدى المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، أنها تسير في الطريق الخطأ، إذ إن الضغط الذي تمارسه، والذي بدأ يشتدّ في الأشهر الأخيرة، يستهدف مطالب لن تستجيب لها حكومة الاحتلال في حال من الأحوال، ما يجعلها أمام سيناريوين: الأوّل، يتمثّل في ما فعلته عائلة رون أراد التي استسلمت للحكومة؛ والآخر المجدي الذي اتّبعته عائلة الجندي جلعاد شاليط. بهذه الكلمات، قيّم مصدر قيادي في المقاومة، في حديثٍ إلى «الأخبار»، تحرّكات عائلات الجنود الإسرائيليين خلال السنوات الماضية. وكان تسور غولدن، شقيق الأسير لدى «كتائب القسام» - الجناح العسكري لحركة «حماس» -، اتّهم، أمس، قيادة الاحتلال بالكذب والخداع. وقال: «لن أنسى كذب (مئير) بن شبات و(بنيامين) نتنياهو، قبل عامين، أمام عائلتي، بعدما قطعا وعداً بأن العمال من غزة لن يدخلوا إسرائيل، ولكن حصل العكس، ولن أنسى صورة رجال يرتدون الزيّ العسكري، بقيادة رئيس شعبة العمليات، في لقاءٍ مع مسؤولين مصريين، هذا الأسبوع، من دون حلّ لجنودهم الأسرى في غزة». كذلك، هاجم غولدن وزير الجيش، بيني غانتس، متّهماً إيّاه بتجاهل قضية هدار، وأضاف: «لن أنسى صوت والدتي، هذا الأسبوع، تروي لنا بعدما عادت من لقاءٍ مع غانتس، الذي كان رئيساً للأركان خلال حرب 2014 وترك هدار في غزة، والذي أخبرها، خلال اللقاء، أن لديه مسائل أمنية أكثر أهمية من إعادة أخي من غزة».

إزاء ذلك، اعتبر المصدر أن تحرّكات عائلات الجنود باتت غير منطقية، كونها لن تؤثّر على الحكومة التي تتهرّب من دفع الثمن المناسب لتنفيذ الصفقة، وتُماطِل بشكل دائم، من دون أن يكون لديها قرار واضح في هذا الشأن. «للأسف، عائلات هؤلاء الجنود تعتقد أن الضغوط على المقاومة يمكن أن تؤدّي إلى إحداث تغيير في الموقف الفلسطيني، أو الإفراج عن الجنود، لكن يبدو أنها لم تدرس كيف صبرت المقاومة أكثر من خمس سنوات، حتى جنت الثمن المناسب في صفقة الجندي شاليط، ولديها الصبر أكثر من ذلك بكثير لحين تحقيق الصفقة»، أكد المصدر، مستخلصاً أنه لم يبقَ أمام العائلات إلّا خياران لا ثالث لهما: إمّا أن تسير في طريق الضغط المناسب، كما فعلت عائلة الجندي جلعاد شاليط، على مدار سنوات، وتكلّلت جهودها بعودة ابنها سالماً، أو السير في طريق عائلة الجندي، رون أراد، التي خضعت للمسؤولين ولم تتحرّك للضغط عليهم، ما أدّى إلى فقدانه إلى اليوم، بعدما تناست الحكومة قضيّته.

وفي رسالته إلى عائلة غولدن، قال المصدر: «لو كانت حكومة نفتالي بينت/ يائير لابيد، تهتمّ بكم، أو بالجنود الأسرى، لذهبت لتنفيذ المرحلة الأولى من الصفقة، وفق خارطة الطريق التي قدّمتها المقاومة لها، عبر الوسيط المصري خلال الأشهر الماضية، إلّا أنها تُماطِل وتتلاعب بكم لأن ضغطكم عليها ليس ذا تأثير حالياً». وأضاف مخاطباً العائلة: «عليك أن تُدركي أن الوضع الأمني في قطاع غزة بالنسبة إلى حكومة بينت، أهمّ من عائلات الجنود الأسرى، وبالتالي يدرك بينت أن الضغط على غزة بهذه الورقة لن يؤدّي إلى إعادة الجنود، بل إلى حرب جديدة. لذا، عليك التفكير بالضغط عليه لتنفيذ صفقة تبادل أسرى جديدة، كما فعلت عائلة الجندي جلعاد شاليط». وتابع: «لا الحرب، ولا الجهد الأمني والاستخباري، ولا الضغط على قطاع غزة اقتصادياً، يمكن أن تغيّر موقف المقاومة، والشيء الوحيد الذي يمكن أن يسرّع في عودة الجنود الأسرى، هو السير في طريق صفقة التبادل، ومعرفة مصير الجنود قبلها».

> هاجم غولدن غانتس متّهماً إيّاه بتجاهل قضية شقيقه الجندي الأسير لدى المقاومة

وكانت لئيا غولدن قد هاجمت، الأسبوع الماضي، حكومة بينت، متسائلة: «هل قرّرت التخلّي عن الجنود؟». وأضافت: «دع الأمهات اللواتي يأتين إلى مكتبك يعرفن ذلك، كلّ ما نعرفه نسمعه فقط من الناس والأخبار، لقد سئمنا من هذا الوضع، نشعر أننا نعيش في خدعة، أعرف رئيس الوزراء منذ سنوات، وأعلم رؤيته السياسية ضدّ الإفراج عن إرهابيين ملطّخة أيديهم بالدماء، لكن هذا لا يهمّني، لا تطلقوا سراح إرهابيين، لكن أعيدوا ابني». وردّاً على سؤال عن الخيارات المطروحة التي تواجهها إسرائيل، سواءً بشأن صفقة تشمل إطلاق سراح أسرى فلسطينيين، أو عملية واسعة ضدّ قطاع غزة، قالت غولدن: «لن تقبل أيّ أمّ أن يذهب ابنها إلى الحرب وألّا يعود»، متابعة أن الحلّ بيد بينت وحده، وهو مَن يجب أن يُصدر التعليمات، ويعيد المفقودين.

أشار المصدر إلى أن تحرّكات عائلات الجنود باتت غير منطقية ولا تؤثر على الحكومة (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3885

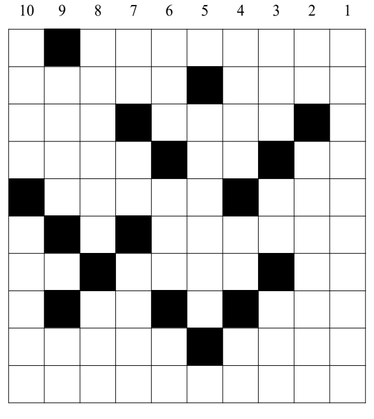

أفقيا

1- دولة أفريقية – 2- من أنواع الليمون – عاصمة أوروبية – 3- تحتفي بزيارة صديق – مصائب وبلايا – 4- تهيّأ للحملة في الحرب – إسم موصول – اتكلم بصوت خفيّ – 5- أصابه دوار –طعام يُتخذ لدعوة – 6- مدينة في ولاية ميشيغان الأميركية – 7- سقي النبات – مسجد – ظنّ – 8- غفلة النوم – أدرج الميت في الكفن – 9- يضل الطريق – ماركة سيارات – 10- شارع راقٍ في فرنسا

عمودياً

1- شاعر فلسطيني راحل – 2- للندبة – عائلة رئيس كوبي راحل – 3- وقت – سقط وسجد – حرف أبجدي – 4- أشعل النار – نعام – حرّك السرير – 5- مستوعبات شحن – 6- مدخل – ضرب أو رمى بسهم – من الأزهار – 7- أنت بالأجنبية – للتفسير – من الطوائف اللبنانية – 8- جزّأهما الى قطع – ضرب من نحاس أبيض – 9- قطعة من اللحم – حرف جر – 10- دولة عربية – ممقوت وغير محبوب

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- محمد إسكندر – 2- نجيب حنكش – 3- جلس – سما – أمنّ – 4- آب – مصراع – 5- بالطا – أكرا – 6- قبر – ربح – تل – 7- رياضي – كلا – 8- غامس – دنا – 9- برّ – يهبّ – نمل – 10- نيكاراغوا

عمودياً

1- منجنيق – غبن – 2- حجل – إبرازي – 3- ميس الريم – 4- دب – بط – اسيا – 5- أحس – أرض – هر – 6- سنام – بيدبا – 7- ك ك – صاح – 8- نشارك – كانو – 9- مارتل – ما – 10- ربيع الأول

sudoku 3885

4			1					9
			4	2	8			
3	1	6				4		
8			7		3			4
6	5					1		7
2					9			5
	6					4	5	2
			8	6	2			
7		9			1			3

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 3884

8	9	1	6	3	5	4	7	2
7	2	5	1	4	9	3	6	8
3	4	6	2	7	8	5	9	1
5	6	3	8	1	7	9	2	4
9	1	7	5	2	4	6	8	3
2	8	4	9	6	3	7	1	5
1	5	9	4	8	6	2	3	7
4	7	2	3	9	1	8	5	6
6	3	8	7	5	2	1	4	9

مشاهير 3885

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

لاعب كرة قدم في منتخب ساحل العاج شارك في 51 مباراة دولية من دون أن ينجح في تسجيل أي هدف. اشترك في بطولة كأس العالم 2006 وكان أكبر اللاعبين سناً

8+2+1+7+3 = غني وثري ■ 11+10+9+6 = زهور ■ 4+5 = خاصتي

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: **شوقي الماجري**

تقرير

عسكرة المدن وخنْق القضاء

مصر لم تخرج من الطوارئ

القاهرة - **جلال خيرت**

لا يبدو الاحتفاء الحقوقي والإعلامي الرسمي في مصر بإلغاء حالة الطوارئ، للمرّة الأولى منذ نيسان 2017، مساوقاً لما يجري على أرض الواقع. ذلك أن النظام لا يريد عملياً إلّا تحسين صورته أمام «المجتمع الدولي» لتخفيف الانتقادات التي تطاله، عبر تصدير إصلاحات شكلية في مجال حقوق الإنسان، مع استبدال النصوص الواضحة بأخرى يلفّها الغموض، بما يضمن إدامة قبضته الأمنية الصارمة، التي قضت على المعارضة ولم تَعُد تسمح إلّا بسماع الأصوات المؤيّدة له في نيسان 2017، فرض الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، حالة الطوارئ في عموم مصر (بعدما كانت مفروضة في سيناء منذ عام 2013)، من دون انقطاع إلّا لفترات بسيطة، إلى ما قبل ثلاثة أسابيع، حيث أعلن عدم نيّته تمديدها مجدّداً في تشرين الأول الماضي. لكن بحسب مصدر مصري تحدّث إلى «الأخبار»، فإن وزارة الداخلية لديها سلطات واسعة لا تزال تستخدمها من دون الحاجة إلى تطبيق قانون الطوارئ. وأكّد المصدر أن التشريعات القانونية تمنح صلاحيات لرجال الأمن في التعامل مع أيّ خطر محتمل قد يستشعرونه تجاه أيّ فرد أو جماعة. مثلاً، لا يزال الوصول إلى شمال سيناء، شبه مستحيل بالنسبة إلى غير الحاصلين على تصريحات بالسفر، فيما تترصّد عمليات التفتيش بالراغبين في الانتقال من المنطقة وإليها، توازياً مع استمرار عمليات التوقيف والاحتجازات للمسافرين إلى جنوب سيناء.

القانون باقٍ بالتحايل

في خلال فترة تطبيق قانون الطوارئ، مرّر النظام تعديلَين مهمَّين: الأوّل، مرتبط بالمنظومة القضائية الخاصّة بمحاكم أمن الدولة الجزئية للجنح ومحاكم أمن الدولة العليا للجنايات، وهي المحاكم التي توقّفت إحالة القضايا إليها، ولكنها لا تزال قائمة لاستكمال المحاكمات التي بدأتها، علماً أنها استثنائية ولا يجوز الطعن في أحكامها، التي تبقى غير نهائية إلى أن الحكم النهائي يصدره رئيس الجمهورية، وليس القاضي الذي نظر في القضية. والجدير ذكره، هنا، أنه أمام هذه المحاكم، تُقدَّم غالبية قضايا النشطاء السياسيين. بمعنى آخر، فإن الحديث عن عدم تدخّل الرئاسة في شؤون القضاء، أمرٌ عبثي، لكون المنظومة الموازية التي جرى تأطيرها قانونياً، تجعل صلاحية الرئيس تفوق صلاحية القاضي، بالتالي تمنح السيسي سلطات مطلقة في التعامل مع جميع القضايا، خلال أيّ من مراحل التقاضي. وتقتصر الاستفادة من إيقاف المحاكم المذكورة، على المتّهمين الذين لا يزالون قيد التحقيق، إذ ستتمّ إحالتهم إلى المحاكم العادية، وفق قانون الإجراءات الجنائية، الذي أُجريت عليه تعديلات توسّع سلطة الأمن في التعامل مع المتّهمين، وتجعله بديلاً ضمنياً لقانون الطوارئ.

ومن أبرز التعديلات أيضاً، تغليظ عقوبة جرائم إفشاء أسرار الدفاع عن الدولة وبيانات القوات المسلّحة، لتتضاعف الغرامة المالية - إلى جانب إبقاء عقوبة الحبس ما بين ستة أشهر وخمسة أعوام - إلى 50 ألف جنيه كحدّ أقصى (3200 دولار). أمّا طبيعة هذه الأسرار، فقد جرى تعريفها بعبارات فضفاضة، في ما يُعتبر تقييداً غير مباشر لما يُنشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ليس في زمن الحرب فقط، إنّما بشكل دائم. كذلك، تمّ تعديل قانون حماية المنشآت العامّة والحيوية، وإسناد عملية التأمين إلى قوات الجيش، بمعاونة قوات الشرطة، بما يشمل محطّات وشبكات وأبراج الكهرباء، وخطوط الغاز وحقول البترول وخطوط السكك الحديدية وشبكات الطرق والكباري، وغيرها من المنشآت والمرافق والممتلكات العامّة، الأمر الذي يعني، فعلياً، تحوُّل البلاد إلى ثكنة عسكرية بالكامل. ولعلّ أخطر ما تضمّنته التعديلات الأخيرة، هو تحويل التعامل مع الجرائم التي تطال تلك المنشآت، إلى القضاء العسكري، بمعنى آخر، فإن أيّ خلاف قد ينشب بين مواطن وشخص عامل في جميع منشآت الدولة، قد يكون مطلوباً أمام القضاء العسكري.

ما تقوله الحكومة في تبرير هذه التعديلات القانونية، هو أن التحدّيات والمخاطر الأمنية باتت تتطلّب تعديلات تشريعية قادرة على التعامل مع «حروب العصر الحديث». وهو ما تسعى من خلاله إلى ترسيخ مفهوم «الطوارئ» عبر القوانين الاعتيادية، بدل القانون الاستثنائي

تمنح التعديلات الرئيس الصلاحية والسلطة الأعلى (مت الويبر)

وفيات ◄

ذكرى ◄

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي

صدق اللّٰه العظيم

يصادف يوم الأحد الواقع فيه ١٤ تشرين الثاني ٢٠٢١م الموافق ٩ ربيع الثاني وذكرى مرور اربعين يوماً على دفن فقيدنا الغالي المرحوم

السفير نصرت بك الأسعد

والده: المرحوم حكمت بك الأسعد

والدته: المرحومة نورية خانم الكيلاني

ولداه: نصرت ونورا

إخوته: راجي وجهاد وهاني الأسعد

أعمامه: المرحوم محمد سعود والمرحوم القاضي مصطفى نصار و المرحوم الدكتور وائل الأسعد

عمته: المرحومة فاطمة الأسعد

بهذه المناسبة الأليمة، تتلى عن روحه الطاهرة آيات من الذكر الحكيم و تقبل التعازي من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى الساعة السادسة مساء في قاعة رادیسون بلو-فردان سنتر دون-الطابق الاول.

الأسفون: آل الأسعد – آل التامر - آل الكيلاني .

كما تتقبل العائلة التعازي على الرقم التالي :76013693(نصرت نصرت الاسعد)

للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
هاتف 01-759500
واتساب 71-513571
فاكس 01-759597

إعلانات رسمية ◄

بلاغ رقم: 2/11

تُعلن وزارة الاتصالات بأنها ستضع قيد التحصيل إعتباراً من 2021/11/18 الكشوفات التالية:

كشوفات فواتير الهاتف الثابت عن شهر تشرين الأول 2021

بالإضافة إلى كشوفات الفواتير المتأخرة غير المسددة، ولقد حددت مهلة أقصاها 2021/12/14 لتسديدها.

وتُذكر المشتركين الكرام بالتدابير التالية:

في حال التخلف:

1 - قطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2021/12/15.

2 - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع بالإتجاهين اعتباراً من تاريخ 2022/01/04 وتستوفى الغرامة عن إعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) اعتباراً من هذا التاريخ.

3 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة مؤقتة بعد مرور شهر واحد على تاريخ قطع الإشتراك اعتباراً من 2022/02/01 ويعاد وصله بعد تسديد المتأخرات المستحقة إضافة الى رسم اعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) وذلك حتى تاريخ الإلغاء النهائي.

4 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة نهائية بعد مرور ثلاثة أشهر على تاريخ الإلغاء المؤقت اعتباراً من تاريخ 2022/05/03 وتستوفى غرامة قدرها (2%) شهرياً وتحرر الأرقام الملغاة وتحصل المتأخرات بالطرق القانونية المعمول بها.

استناداً الى المادة 45 من قانون المحاسبة العمومية.

5 - يُحرم المشترك الملغى رقمه من الحصول على إشتراك جديد قبل تسديد جميع الفواتير المستحقة عليه.

ملاحظة: أ - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن دفع فاتورة هاتف شهر أيلول عام 2021 باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2021/11/17.

ب - يمكن للمشتركين الملغاة خطوطهم والذين لم يسددوا فواتيرهم المتأخرة المبادرة الى تقسيط المتأخرات في صناديق المناطق الهاتفية وفي مصلحة الشؤون المالية - مبنى وزارة الاتصالات، شارع رياض الصلح وإمكانية الحصول على إشتراك جديد.

إمكانية تسديد الفواتير عبر الوسائل التالية:

- لدى أي صندوق من صناديق قبض الفواتير التابعة لوزارة الاتصالات على كافة الأراضي اللبنانية.

- لدى أي مصرف عبر توطين الفاتورة مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو أكثر (للاستعلام اتصل بمصرفك).

- مكاتب LibanPost: مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو بكلفة 1,500 ل.ل. للفاتورة الواحدة عبر الاشتراك بخدمة «جباية من العنوان» (للاشتراك بهذه الخدمة يمكن الاتصال بالرقم 01/629629 - مقسم 333).

- مكاتب شركة ويسترن يونيون OMT بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.

- مكاتب شركة ويسترن يونيون BOB FINANCE بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.

- عبر شبكة الانترنت على موقع هيئة اوجيرو (ogero.gov.lb).

كما تذكر المشتركين: بأحكام المرسوم رقم 4565/93 (المادة الثالثة منه) وتعديله بالمرسوم 11682 تاريخ 1998/01/30 لجهة تحديد مهلة أربعة أشهر للإعتراض بعد إنتهاء المهلة المحددة للدفع والمذكورة اعلاه، ووجوب تقديم طلب الاعتراض في المنطقة الهاتفية التابع لها رقم المشترك.

يُطلب من المشتركين الكرام التجاوب السريع مع مضمون هذا البلاغ، شاكرين لهم حسن تعاونهم.

بيروت في 25 تشرين الأول 2021

المدير العام لإستثمار وصيانة المواصلات السلكية واللاسلكية

المهندس باسل أحمد الأيوبي

التكليف 916

.....

اعلان

طلب السيد جواد محمد غدار بوكالته عن المستدعي علي رشيد شقير تصحيح اسم مالكة العقار رقم 277/ اركي واعتبار اسمها رحيمة احمد ناصر بدلاً من رحمة احمد ناصر .

للمعترض 20 يوماً للمراجعة

القاضي العقاري

محمد الحاج علي

.....

الأخبار
al-akhbar
السبت 13 تشرين الثاني 2021 العدد 4488

صورة وخبر

في صيدا (جنوب لبنان)، اختار ثنائي التقاط صورة تظهر لحظة حبّ بينهما في قلب القلعة البحرية. هكذا، اختار الشابان استغلال زيارتهما لهذا المعلم الأثري بعيداً عن أطر الاستهلاك وتسليع المشاعر التي حصرت الحب في عيد وكأنّه فعل يمارَس يوماً واحداً في العام فقط. (علي حشيشو)

ضياء حمزة: موسيقى حافّ

اليوم السبت، يدعو «مترو المدينة» إلى حضور حفلة ضمن سلسلة «موسيقى حافّ» مع العازف ضياء حمزة (الصورة). «موسيقى حافّ» عبارة عن مجموعة من المواعيد الفنية المخصّصة للاستمتاع بالموسيقى حصراً والابتعاد عن الأجواء القاتمة التي تخيّم على البلاد، يُحيي كلّاً منها عازف أو أكثر يعرّف الحاضرين إلى مزاجه ومهاراته وموهبته. في السهرة المرتقبة، سيكون الجمهور على موعد مع مجموعة من الأعمال التي اختارها حمزة من مؤلّفاته الموسيقية على الهارمونيكا والبيانو والأكورديون والميدي كيبورد.

حفلة «موسيقى حافّ» مع ضياء حمزة: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). الدخول مجاني. للاستعلام والحجز: 01/753021 و 76/309363.

جمال فياض: واقع الدراما اللبنانيّة

هذا الشهر، يسلّط برنامج «بانوراما الفنون» الضوء على الدراما اللبنانية، مستعرضاً مراحل تطوّرها بالإضافة إلى المؤثّرين فيها من كتّاب وممثلين ومخرجين وشركات إنتاج... لهذه الغاية، تستضيف «جمعية السبيل» في 23 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي الإعلامي والناقد الفنّي اللبناني جمال فيّاض (الصورة). سيتحدّث الأخير عن واقع الدراما اللّبنانية بين الماضي والحاضر. يهدف «بانوراما الفنون» إلى تناول مواضيع فنية بطريقة شاملة عن طريق استضافة متخصّصين. هكذا، سيتمكّن الجمهور من التعرّف إلى فنون عدّة في لبنان، من بينها النحت، الفنون التشكيلية، الموسيقى وغيرها.

«بانوراما الفنون»: الثلاثاء 23 تشرين الثاني ـ الساعة السادسة مساءً ـ مكتبة بلدية بيروت العامة (الباشورة). للاستعلام: 01/664647

زياد ولمياء: ليلة شرقيّة

يوم الثلاثاء المقبل، يضرب الفنان اللبناني زياد سحّاب (غناء وعود) وزميلته ومواطنته لمياء غندور (غناء ـ الصورة) موعداً جديداً مع الجمهور في NOW Beirut (الأشرفية). وفي الحفلة، سيأخذ الثنائي الحاضرين في رحلة إلى أيام الأسود والأبيض في السينما العربية، من خلال أغنيات من أفلام معروفة لسعاد حسني وشادية ومحمد عدوية بالإضافة إلى مختارات من الفولكلور المصري، ضمن أجواء تحاكي الكباريه. تتألف الفرقة المرافقة من: خليل البابا (كمان)، رمزي بو كامل (كيبورد)، نادر مرقس (طبلة) وكميل أبو مرعي (درامز).

حفلة لمياء غندور وزياد سحاب: الثلاثاء 16 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي ـ الساعة التاسعة مساءً ـ NOW Beirut (شارع سليم بسترس ـ الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 01/211122

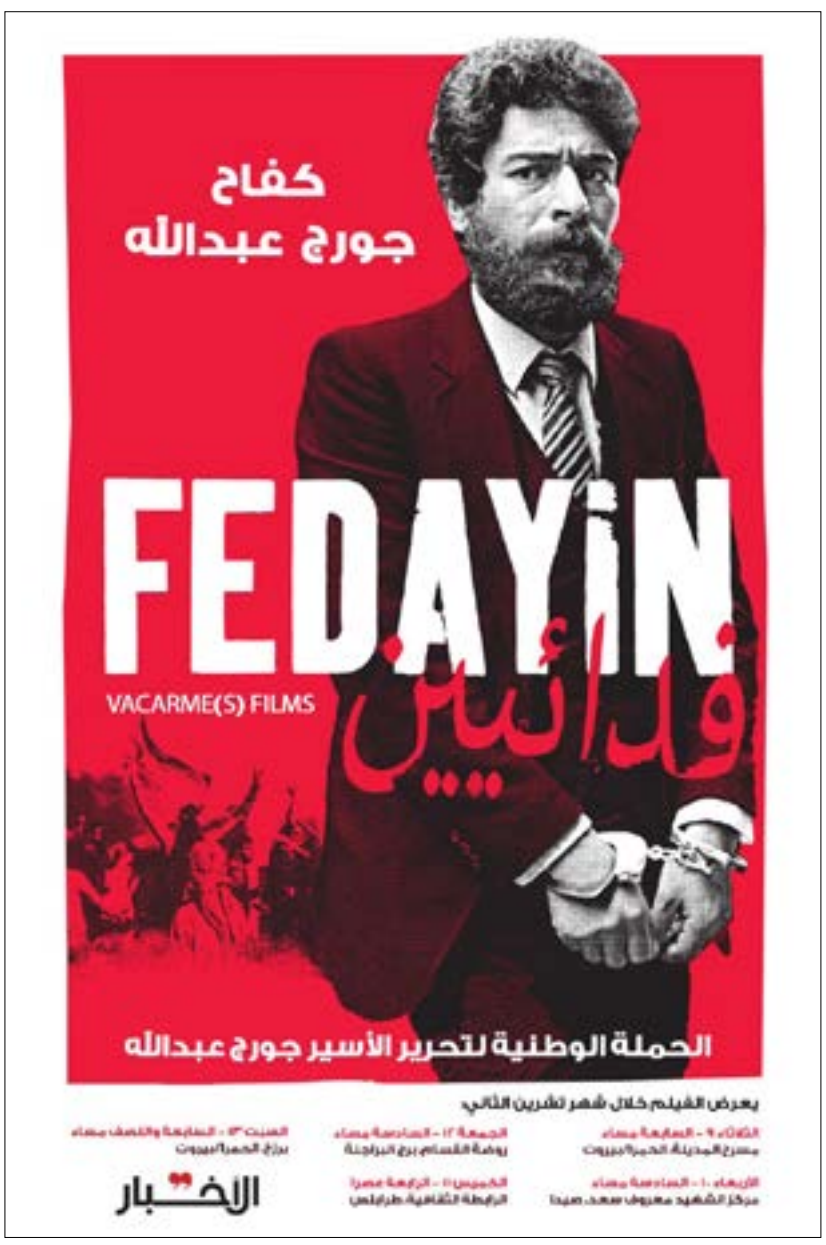

الأخبار
al-akhbar

السبت 13 تشرين الثاني 2021
العدد 4488 السنة السادسة عشرة
Samedi 13 Novembre 2021 nº 4488 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

عبد الله العلايلي

ربع قرن على رحيل «الشيخ الأحمر»

محمد ناصر الدين

« لا أظنّ موضوعاً أُسيء فهمه وتقديره كالإسلام، ولا سيّما في الجانب التنظيمي منه. لذلك، أراني مدفوعاً إلى الحديث عن مفاهيمه، خصوصاً الدّاخلة في صميم مشاكلنا وليس بينها، كالفقر، مشكلة هي أحقّ بالتقديم. نعم.. إذا عُني الإسلام وعُنيت المذاهب الاجتماعية بالتّحدث عن الفقر كما لو كان المشكلة الأولى، فذلك لأنّه الداء الصّميمي الذي يهدّد البشرية جمعاء في بقائها، وليس وراءه داءٌ يفعل فعله السريع في إذابة صور المدنيات وإصابة روح الجماعة إصابةً مباشرة. ويتسنّى لنا أن نفهم خطورته أكثر فأكثر، إذا نحن درسناه كمرض عضوي يصيب المجتمع الذي هو كائن عضوي أيضاً». بهذه الكلمات، صدّر عبد الله العلايلي (20 نوفمبر 1914ــ 3 ديسمبر 1996) كتابه المرجعي «أين الخطأ» (1978) الذي يضع فيه الإصبع على الجرح في محنة الحضارة الإسلامية والانفصام بين منطلقاتها الروحية وواقعها الاقتصادي الاجتماعي. بهذا العمل، توّج «الشيخ الأحمر» سلسلة من المؤلفات التي تستوقف أي مهتمّ بحضارة العرب ولغتهم وتراثهم وثقافتهم نستذكر منها «مقدمة لدرس لغة العرب» (1938)، و«أشعة من حياة الحسين» (1939)، و«تاريخ الحسين» (1940)، و«إني أتّهم» (1940)، و«مثلهنّ الأعلى» (1947) و«أيام الحسين» (1948) و«معجم العلايلي» (1954) و«المرجع» (1963). علماً أن «دار الجديد». أعادت إصدار أعماله.

جمع العلايلي في شخصه توليفةً فريدةً من الميّزات الثقافية والفكرية أمكنها التوفيق بين القدسي والدنيوي بتعبير مؤرّخ الأديان والفيلسوف مرسيا إلياد. اجتمعت في الشيخ المتنوّر الجبة وعباءة رجل الدين. تحاوران الآخر بمعرفة مجبولة بالاحترام والموضوعية، واجتهاد في الدين يمازجه نظر في الدنيا وتخليص للزمن من شوائبه الخرافية نحو شكله الإنساني الأكثر عقلانية ورحابة. رزانة المفكّر الحرّ مرتبطة بقلب المؤمن الكبير في محبة وعطش معرفي يقترب من التصوف، وخصوصية بيروتية مترفعة عن المذهبيات الضيقة والأدبيات الخلاصية ومندمجة في العروبة ومكوّنها الأعمق والأعذب وهو اللغة. فقد محضها جهداً قلّ نظيره في عقلنة لسانها، وترشيد المعرفة بها نطقاً وكتابة وحياةً، هو العاشق لها حتى انقطاع النفَس، الحريص على مصالحتها مع الحداثة والزمن: « يهمّني بادئ بدء أن أقول مع «شوقي»: وما العربية إلا وطن».

ولد عبد الله العلايلي في بيروت عام 1914 عشية الحرب العالمية الأولى، وتلقّى أول أصول التعليم في «مدرسة الحرج» التي أسّستها «جمعية المقاصد الإسلامية» عام 1917، قبل أن يغادر إلى القاهرة في العاشرة من عمره ليتابع دروسه الأزهرية، ويكون شاهداً على سنوات الغليان المصرية تحت الانتداب الإنكليزي. هناك، غرف من معين نخبة من العلماء أمثال الجيزاوي، وشاكر الدجوي، وسيد بن علي المرصفي. نخبة لمّا تنتهي من اقتفاء أثر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في ما يتعلق بالمواضيع الشائكة كالإصلاح الديني والمدنية والمصالحة بين الإسلام والحداثة، وقد طبعت سنون الدراسة الـ12 شخصيّة العلايلي التاريخية والثقافية والاجتماعية، إذ كانت الفترة ما بين تخرّجه من الأزهر وعودته إلى لبنان في العقد الرابع من القرن الماضي هي الأغزر في نتاجه الفكري. لكنّ الإهمال طال قسماً من نتاج الشيخ الأديب، إذ ضاعت مدوّناته في مصر التي جمعها في مخطوط أسماه «أعوام في مصر»، وكذلك مسودة كتاب آخر في تصوير الواقع المصري حينذاك بعنوان «أدباء وحشّاشون». كما أنه نظّم شعر الغزل والتصوّف في شبابه في قصيدة «رحلة إلى الخلد» في أكثر من 1500 بيت ضاع معظمها.

خاض العلايلي غمار السياسة، فتقدّم عام 1952 لموقع دار الإفتاء، لينال 45 صوتاً مقابل 52 صوتاً للشيخ محمد علايا الذي صار مفتياً للجمهورية. شارك في تأسيس عصبة العمل القومي، وفي 17 آذار (مارس) 1949 أسهم في تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي، إلى جانب كمال جنبلاط واطّلع على أفكار «حركة أنصار السلم» ذات الأصول الماركسية، وطالع مذهب داروين وأفكار ماركس وأنجلز وغوستاف لوبون، بخاصة «روح الاشتراكية»، فاتّهم بالشيوعية ولقّب بـ «الشيخ الأحمر» رغم أن بقاءه في الحزب الاشتراكي لم يطل أكثر من سنة ونصف السنة لصعوبة حصر روح العلايلي في أُطُر حزبية ضيقة. روحه الوثّابة القلقة كانت تنفّر من كل دوغمائية ولو ارتدت لباس «المقدس»، وهو ما يجعل فكره راهناً اليوم بقوة بعد ربع قرن على رحيله. أمام مخاطر الوقوع في «شريعة» تندفع إليها بعض الدول والمجتمعات بدون فهم ماهيّتها وعوامل تطوّرها ومصادر استمدادها وانزياحها عن الوسطية والاعتدال نحو الأصولية والتطرف، لم يتردّد في وصفها بقفزة في الفراغ: «لولا ما أجد من اندفاع جارف يكاد يجاوز حدّ الشطط، بين معاشر ومعاشر في دول إسلامية شتّى، من التحول الجامح إلى ما يسمّى الشريعة وجعلها قاعدة للحكم... لكن رويدكم يا هؤلاء، فأنتم تبنون الأهرام على رؤوسها لا على القاعدة: وبذلك يكون هويها عظيماً والتميّل بل الانكفاء خطيراً، حين يُعزى -ما سنجد أنفسنا فيه من وضع مأساوي لا محالة- إلى الأخذ بالشريعة وهنا تحقّ الجريمة أو ما هو أسوأ منها».

حوار

المؤرّخ التونسي يقتفي أثر الأبطال «المنبوذين»

فتحي ليسير: التاريخ لا يُكتب بمنطق «الطبيّة»

جمع فتحي ليسير (1953) بين صرامة المؤرّخ وفتنة الكتابة القصصية والروائية وتدوين سير أبطال «حركة الكفاح الوطني» ممن أهملهم التاريخ الرسمي. أحد روّاد «تاريخ الزمن الراهن» (عنوان أحد كتبه) ومنظّريه في العالم العربي، دشّن هذا الاختصاص في تونس عام 2012. فيما يبقى كتابه «دولة الهواة ـ سنتان من حكم الترويكا 2011 ـ 2013» (تونس ـ 2013) من أهم المراجع التي رصدت تجربة الإسلاميين في حكم تونس. انطلاقاً من انتمائه إلى جيل من المؤرّخين ممن تلقّوا تعليماً متعدّد اللغات في المدرسة التونسية وصولاً إلى الجامعة، اسهم ليسير في إثراء المكتبة العربية في مجال الترجمة مثل ترجمة كتاب المستشرق الفرنسي اندريه لوي «يدو الامس، يدو اليوم في الجنوب التونسي». وكتاب أرنولد توينبي «نظرية التحدي والاستجابة في نظريات المعرفة التاريخية وفلسفات التاريخ في العالم الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين». إلى جانب عشرات الدراسات والمقالات في مجلات محكمة في تونس وخارجها باللغتين العربية والفرنسية. هذا الإنتاج العلمي الغزير، لم يمنع ليسير من الكتابة السردية، إذ أصدر مجموعة قصصية بعنوان «أضمامة نساء تونس» ورواية «الملانخولي» التي رصد فيها حالة الانهيار العام الذي تعيشه البلاد تحت حكم الإسلاميين. في هذا الحوار، نرصد معه تحولات التاريخ المعاصر وحالة الترجمة في العالم العربي والتجربة التونسية في التعاطي مع الإسلام السياسي

تقديم وحوار **انيس الشعبوني**

■ السؤال الذي يفرض نفسه ونحن نحاور أستاذاً متخصّصاً في تاريخ الزمن الراهن هو: كيف يمكن أن نقرأ جائحة كوفيد-19 قراءةً أنية تستوعب ارتدادات هذا الحدث الجلل على العالم؟ وهل يمكن القول إنه باستطاعة الجائحات الكبرى مثل هذه، أن تخلق أزمنة جديدة في التاريخ؟

ـ كنت أنتظر منك أن تطرح عليّ مثل هذا السؤال. إذا استعنّا بعبارة المؤرّخ بيار نورا، فيمكن القول بأنّ كوفيد-19 هو حدث من النوع المسمّى بـ «الحدث المسخ» L'événement monstre في التاريخ قط أن عاشت البشرية موجةً من الهلع الجماعي مثلما حدث في مطلع سنة 2020. في ربيع السنة المنصرمة، توقف النشاط البشري حدّ الشلل بسبب فيروس كورونا المستجد، وشهدنا أكبر عملية حجر صحّي في التاريخ، أربعة مليارات إنسان التزموا منازلهم. يمكن الاسترسال في ذكر الأمثلة، فالنتائج المترتبة على الصدمة التي تسببت فيها هذه الجائحة غير مسبوقة على الصعيد العالمي. لكن الأكيد أنه مع إلحاقها ضرراً شديداً بالاقتصادات والبشر، فإنّ تأثيرها سيتجلّى في الأعوام المقبلة على المناحي الحياتية الإنسانية كالاقتصاد والعلاقات الدولية، وسياسات الدول الخارجية والداخلية في ميادين التنمية، وبالأخص مجالات الصحة العامة، وبرامج البحث العلمي، والبيئة طبعاً. أما أنا، فأود التركيز على فرادة هذا الحدث الهائل من منظور المؤرّخ. لقد شكّل كوفيد-19 ما يسمى بالفرنسية un événement/Avènement أي حدث/حِدْثان. أي أنه ـ بالنسبة إلى جمهور المؤرّخين ـ علامة تدشينية وافتتاحية على خط التاريخ الطويل. لقد سمح هذا الزائر الجديد للبشرية بالولوج الفعلي إلى القرن العشرين، بإحداثه أزمة في عصر «الأنثروبوسين» Anthropocène (من اليونانية تعني «إنسان حديث العهد») الذي تلا عصر الهولوسين (بدأ منذ 10000 سنة). وتبسيطاً للأشياء، أقول إنّ عصر الأنثروبوسين الذي نعيشه اليوم هو العصر الذي تحوّل فيه البشر، بفعل أنشطتهم التي ترتّبت عليها تغيّرات إحيائية – جيوفيزيائية، إلى «قوة جيولوجيّة» تؤثر على الكوكب. أما البداية الفعلية لهذا العصر، فتعود إلى انطلاقة الثورة الصناعية، خصوصاً فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية (1939 ـ 1945) عندما بدأت تتصاعد الممارسات الضارّة بالبيئة. لقد ترتّب على دخول كوكب الأرض مرحلة الأنثروبوسين، خصوصاً لحظتها الثانية بعد عام 1945، ظهور أوبئة جديدة وأمراض ناشئة إلى جانب الأمراض القديمة، تنقّلت من بلدان مختلفة. ومن بين هذه الأمراض يمكن أن نذكر، على سبيل الذكر لا الحصر، الإنفلونزا الأسيوية (1957) وإنفلونزا هونغ كونغ (1968) وإنفلونزا «إتش وان/ آيت وان» (1976) و«إنفلونزا الطيور» (1997) و«فيروس سارس» (2002) و«فيروس إيبولا» (2014) و«فيروس ميرس» (2019). كلّ الدراسات المتخصصة تُجمع على أنه لا يمكن فصل نشوء هذه الأوبئة الطارئة عما يحدث من اختلالات في التغيّرات المناخية، والتوازنات البيئية، والتراجع في التنوّع البيولوجي. ولا حاجة إلى القول بأنّ كل هذه التحولات مردها إلى ممارسات الإنسان الدالة فقط على عدم احترامه للعالم الطبيعي. لذلك، أصبحنا نرى أخيراً انتشاراً للأمراض المعدية تنتقل من الحيوان إلى الانسان، ما يسمى «الزونوزات» zoonoses، على نطاق واسع مثل «فيروس سارس» (انتقل إلى الإنسان من قطط الزباد) و«مرض ميرس» (انتقل إلى الإنسان من الإبل). أما كوفيد – 19، فإن الفرضية الأكثر قبولاً أنه انتقل من الخفافيش أو من حيوان المنغول إلى الإنسان. تمثل هذه الجائحة أول إنذار لازمة في «الأنثروبوسين» من حيث الأضرار والشمولية. لكن الأصيل هنا هو أن «الأنثروبوسين» أدخل البشرية إلى نظام تاريخاني جديد، ألّف بين التاريخ البشري وتاريخ كوكب الأرض، ما يؤشر إلى نهاية التمييز القديم بين التاريخ البشري والتاريخ الطبيعي. معنى هذا أننا أصبحنا معشر البشر أمام زمنيّتين Deux temporalités متعلقتين: تقاس الأولى بالسنوات والقرون، والثانية بملايين أو بمليارات السنين. هذا ما يحيلنا إلى تيار التاريخ الكبير Big History الذي لمع فيه المؤرّخ الإنغلو- أميركي دافيد كريستيان (1946). تتمثّل فكرة هذا التاريخ في مقاربة تاريخ الكون أرضاً وسكاناً في حركة واحدة منذ الانفجار العظيم أو الـ Big Bang.

■ اهتممت في كتابك «الصعلكة الشريفة» بالقصين والمنسيين في التاريخ الرسمي. ما سرّ اهتمامك بهؤلاء؟

اهتممت في كتابي «من الصعلكة الشريفة إلى البطولة الوطنية ـ دراسة في سير بعض المستبعدين من تاريخ تونس المعاصر» (تونس 1999) بطائفة من المغيّبين أو المستبعدين من تاريخ تونس المعاصر، وتحديداً خلال معركة التحرير الوطني. والحقيقة أنّ نيتي في هذا الخصوص لم تكن كتابةَ تاريخ مضاد يواجه التاريخ الرسمي السائد. لكن أردت أن أسدّ فراغاً ما. فافتقار المدوّنة التاريخية المعاصرة (بالأخص استوغرافيا الحركة الوطنية التونسيّة) إلى دراسات علمية عن قادة الحركة المسلّحة خلال حقب المقاومة الثلاث: «زمن القبيلة» و«زمن الأفراد» و«زمن العمل المؤطر» (1881-1954)، هو الذي حرّضني على إنجاز هذه الدراسة، خصوصاً أن هؤلاء القادة حفروا أسماءهم في الذاكرة والوجدان الشعبيين، فلم يعد من الممكن إغفالهم. لذلك كنت أحاول في الكتاب أن أجد تصنيفاً لحركات من رفعوا لواء العصيان في وجه الاحتلال الفرنسي. فالتاريخ الرسمي تعامى عنهم، والمؤرخون أسقطوهم من حسابهم كما لو أن حركاتهم المقاومة لا تشكّل مكوّناً

> **«الصعلكة الشريفة» كانت حركة مقاومة شعبية، شكّل عناصرها ما يُعرف بـ «جيش الظلال»**

أساسياً من مكوّنات تاريخ تونس المعاصر. كانت الإشكالية التي طرحتها في الكتاب: هل يجوز اعتبار هؤلاء الرجال أو بعضهم أبطالاً وطنيين؟ لم تكن مهمّتي سهلة، فقد اصطدمت بصعوبتيْن أساسيتين. تجلّت الأولى في شُحّ المادة المصدرية بالنسبة إلى هذا الصنف من المقاومين. هذا مردّه إلى أنّ الصورة التي نملكها عنهم قد رُسمت بأقلام أعدائهم من رجال السلطة الفرنسية. أما الصعوبة الثانية، فتتجلى في المسحة شبه التقديسية التي أضفتها السردية الشعبية على أولئك الرجال، بحيث إنّ عدداً منهم وُضع في مقام العصمة والتنزيه. فكان تناول حيوات بعضهم في إطار تحليلي وناقد أشبه بالمخاطرة أحياناً. في خاتمة بحثي، خلصتُ إلى جملة من النتائج منها أنّ «الصعلكة الشريفة» كانت حركة مقاومة شعبية ذات دور مجهول وفضل مغمور شكّل عناصرها ما يُعرف بـ «جيش الظلال». ثم إنّها كانت ظاهرة ريفية تقابلها ظاهرة الفتوّة في المدن والحواضر، وقد قامت في جوهرها على النشاط الفردي والبطولة الفردية خلافاً لـ «حركة الفلّاقة» (تعود جذور مصطلح «الفلّاقة» إلى ثمانينيات القرن التاسع عشر، ضمّت حملة السلاح ممن قاوموا الاحتلال الفرنسي في تونس). من النتائج الأخرى لذلك أنّ «الصعلكة الشريفة» مثّلت – بمعنى من المعاني – أحد أشكال الاحتجاج الاجتماعي من دون أن يكون قادتها قد أعلنوا في تحرّكاتهم عن «برامج اجتماعية» معيّنة، ما يجعلها رائدة على خط «البطولة الوطنية». علماً أنّ البعد السياسي فيها كان هُلامياً في الأعمّ الأغلب. أما آخر هذه النتائج فمؤدّاها إلى كون هذه الحركة «محافظة» من حيث إطارها الفكري وتصوّراتها وبدائلها الاجتماعية أيضاً.

■ منذ ما يُعرف بالثورة، أثيرت في تونس دعوات إلى إعادة كتابة التاريخ رافقها تشكيك في الاستقلال وفي الحركة الوطنية ومصداقية المؤرّخين التونسيين. كيف ترى كل ما أثير ويُثار؟ وما هو موقفك كمؤرّخ ؟

ـ ليست هذه الدعوات بالأمر الجديد. فقد سبق أن رُفعت مثلها بعد الإطاحة بالرئيس الحبيب بورقيبة (1903-2000) عام 1987. ثم عادت إلى الظهور بقوّة خلال الأشهر الأولى من الثورة، خصوصاً خلال عامَي 2011 – 2012 في مناخ كان يموج بالانفعالات والدعايات وتصفية الحسابات السياسية. والحق أن تعبير «إعادة كتابة التاريخ» غالباً ما يثير سخرية المؤرّخين المحترفين لسبب بسيط هو أنّ إعادة كتابته تقع في صميم الكتابة التاريخية. وعلى رأس هموم كلّ مؤرّخ جدير بهذه الصفة. فالمؤرّخون لا يفعلون سوى ذلك، وهو في صلب عملهم الذي يكون إما عبر الاستعانة بآخر ما تنكشف عنه أوراش البحث التاريخي في العالم من مناهج وأدوات، أو في ضوء كشوفات مصدرية أو وثائقية جديدة أو أعمال حفريات أو غيرها. لا بد من القول بأنّ أغلب من يرفعون هذه الدعاوى هم على جهل بالاستوغرافيا (Historiography) التونسية المعاصرة والراهنة، وإلّا لما طلبوا من المؤرّخين إعادة كتابة التاريخ. الحق أن تاريخ الحركة الوطنية التونسية ومراحل بناء الدولة الوطنية، كانا محلّ رهانات سياسية وثقافية عند قطاع عريض من الطبقة السياسية والطيف الثقافي التونسي. ولا بد من التمييز هنا بين «السردية التاريخية الوطنية» (le récit national) و«الرواية الوطنية» (le roman national). فالأولى تستدعي المعرفة التاريخية العقلانية التي يمكن التحقّق مما يأتي فيها من بيانات. وعادة ما تكون هذه السردية في الكتب المدرسية، لذلك جاء الحديث من هنا عن «تأميم التاريخ». أما «الرواية الوطنية»، فتعكس حنيناً شعبوياً جارفاً تجاه البطولات والأمجاد القومية.

> **«الرواية الوطنية» تعكس حنيناً شعبوياً جارفاً تجاه البطولات والامجاد القومية**

رواية وطنية في محاضراته حول تاريخ الحركة الوطنية لم تشفع له. وممّا يُؤكّد هذا الرأي أنّ السردية الرسمية لتاريخ الحركة الوطنية وبناء الدولة الوطنية، ظلّت على حالها تقريباً منذ ثمانينيات القرن العشرين، مع إعادة الاعتبار لبعض الشخصيات الوطنية مثل صالح بن يوسف، وبعض الشرائح الاجتماعية مثل مقاومة الأرياف والبوادي للاستعمار. وهنا لا بد من القول بأنه لم تصدر خلال السنوات الستين الماضية توجيهات أو أوامر بكتابة التاريخ أو بتدريسه في الجامعة التونسية أو بالتركيز على مثل هذه الشخصية أو حتى على فترة دون أخرى. الخلاصة هي أن دعوات إعادة كتابة التاريخ كانت تحرّكها بواعث سياسية ليس إلا، لأنّ البعض من الإسلاميين والقوميين العرب كانت لهم جردة حساب مع بورقيبة وبناة دولة الاستقلال عموماً. فات هؤلاء ـ ومن نحا نحوهم ـ أنّ التاريخ لا يُكتب وفق منطق «الطلبيّة». ولو أن السياق يسمح، لكنتُ توسّعت أكثر في الموضوع بالحديث عن «إبتيقا» (فلسفة الأخلاق) المؤرّخ وخصوصيّة مهنته وإكراهات الكتابة التاريخية في البلاد العربية.

■ مارست الترجمة وأصدرت عدداً من الترجمات. كيف تنظر إلى واقع الترجمة في العالم العربي؟

ـ لقد أصبح للحديث اليوم عن صناعة الترجمة وسوقها مكانة خاصة. لسنا بحاجة إلى التذكير بالجهود الكبيرة التي بذلها العرب في هذا المضمار، إذ كان لحركة الترجمة تاريخ مهمّ في الحضارة العربية بدءاً بتجربة الدولة العباسية الفريدة في نوعها، مروراً بتجربة محمد علي باشا الرائدة في مصر وفي عصر النهضة، وصولاً إلى الزمن الراهن الذي سجّل جُهوداً محمودة في هذا المجال. لكن الترجمة في الوقت الراهن تعاني حالة من التّعثر ومشاكل وجملة من التحدّيات التي يتعيّن عليها تذليلها كي تؤدّي الدور المنوط بها في زمن بلغت فيه المنافسة في هذا المجال شأناً عظيماً. بالرغم ممّا قدّمته مراكز الترجمة في البلاد العربية اليوم ومساعي الجامعة العربية في إعادة الاعتبار للترجمة والجهود الحثيثة لعدد من الدول العربية في مجال الترجمة مثل «حرب سرديات» لأنّ الذين طعنوا في بعض فصول السردية الرسميّة، اقتصروا على الحقبة المعاصرة منها، متّهمين الرئيس بورقيبة الذي لم يكتب التاريخ، بتزوير المعطيات التاريخية، فصياغة

> **فتحي ليسير: الإسلاميون فشلوا في امتحان الحكم لأنهم ليسوا أهلاً لحكم الدولة الحديثة**

رواية وطنية في محاضراته حول تاريخ الحركة الوطنية لم تشفع له. ومِمّا يُؤكّد هذا الرأي أنّ السردية الرسمية لتاريخ الحركة الوطنية وبناء الدولة الوطنية، ظلّت على حالها تقريباً منذ ثمانينيات القرن العشرين، مع إعادة الاعتبار لبعض الشخصيات الوطنية مثل صالح بن يوسف، وبعض الشرائح الاجتماعية مثل مقاومة الأرياف والبوادي للاستعمار. وهنا لا بد من القول بأنه لم تصدر خلال السنوات الستين الماضية توجيهات أو أوامر بكتابة التاريخ أو بتدريسه في الجامعة التونسية أو بالتركيز على مثل هذه الشخصية أو حتى على فترة دون أخرى. الخلاصة هي أن دعوات إعادة كتابة التاريخ كانت تحرّكها بواعث سياسية ليس إلا، لأنّ البعض من الإسلاميين والقوميين العرب كانت لهم جردة حساب مع بورقيبة وبناة دولة الاستقلال عموماً. فات هؤلاء ـ ومن نحا نحوهم ـ أنّ التاريخ لا يُكتب وفق منطق «الطلبيّة». ولو أن السياق يسمح، لكنتُ توسّعت أكثر في الموضوع بالحديث عن «إبتيقا» (فلسفة الأخلاق) المؤرّخ وخصوصيّة مهنته وإكراهات الكتابة التاريخية في البلاد العربية.

■ مارست الترجمة وأصدرت عدداً من الترجمات. كيف تنظر إلى واقع الترجمة في العالم العربي؟

ـ لقد أصبح للحديث اليوم عن صناعة الترجمة وسوقها مكانة خاصة. لسنا بحاجة إلى التذكير بالجهود الكبيرة التي بذلها العرب في هذا المضمار، إذ كان لحركة الترجمة تاريخ مهمّ في الحضارة العربية بدءاً بتجربة الدولة العباسية الفريدة في نوعها، مروراً بتجربة محمد علي باشا الرائدة في مصر وفي عصر النهضة، وصولاً إلى الزمن الراهن الذي سجّل جُهوداً محمودة في هذا المجال. لكن الترجمة في الوقت الراهن تعاني حالة من التّعثر ومشاكل وجملة من التحدّيات التي يتعيّن عليها تذليلها كي تؤدّي الدور المنوط بها في زمن بلغت فيه المنافسة في هذا المجال شأناً عظيماً. بالرغم ممّا قدّمته مراكز الترجمة في البلاد العربية اليوم ومساعي الجامعة العربية في إعادة الاعتبار للترجمة والجهود الحثيثة لعدد من الدول العربية في مجال الترجمة مثل لبنان ومصر وسوريا والكويت والمغرب وتونس، إلا أنّ مركز العرب ضمن الترتيب العالمي للمُنجز الترجمي يظلّ متأخراً جداً، صحيح أن اللغة العربية تحتل المرتبة السادسة عالمياً، لكن الإحصائيات تشير إلى تواضع حجم ما يُترجم في البلاد العربية مقارنة مع سائر دول العالم. على سبيل المثال، عدد الكتب المترجَمة إلى العربية خلال ثلاثين سنة أي ما بين عام 1970 وعام 2000 تحديداً، لم يتجاوز 6880 كتاباً في حين يُترجمُ في اليابان سنوياً أكثر من 30 مليون صفحة. الجيد أن الوعي يتزايد تجاه هذا التأخر المخجل في مجال الترجمة وضرورة تفاديه، ناهيك بأن إنتاج المعارف والعلوم شهد طفرةً لافتةً في شتّى المجالات خلال السنوات الأخيرة في العالم. أمر يتطلب من العرب مواكبة التدفق المعرفي ومواكبة جديد علم الترجمة وسط الثورة المعلوماتية التي تجوب العالم.

■ أنت تكتب القصة والرواية في موازاة إنتاجك للكتب والمقالات في حقل تخصّصك. صدرت لك مجموعة قصصية وروائي. كيف تعيش هذه المراوحة بين السردية المرجعية (التاريخ) والسردية التخييلية (القصة والرواية)؟

لوقت طويل وحتى حدود الثلث الأخير من القرن الثالث عشر، كان التاريخ يُعتبر جنساً أدبياً، لكن مساعي المدرسة الوضعانية الألمانية حوّلته عبر استراتيجيات استوغرافية إلى علم له قواعده وشروطه، على رأسها التحليل النّقدي للمصادر والأصول، مع تقيّد بلغة علمية لا مجال فيها للأسلوب المنمّق. لكن لا شك في أنّ وشائجَ قُربى ونسب ربطت التاريخ والرواية. يكفي للتأكد من هذا أن نعود إلى أعمال هيرودوت وشيشرون وفولتير وميشليه وفوكو. أما بعد مرور قرن على هذا التحوّل في الكتابة التاريخية الذي كرّسته مدارس تاريخية كبرى على رأسها مدرسة الحوليات العتيدة، فقد عاد الحديث عن كون التاريخ لا يعدو أن يكون سوى جنس أدبي، خاصة مع المؤرّخ الشهير هايدن وايت. والحق أن هذا التوجّه قد تعزّز مع تيار ما بعد الحداثة. جرى هذا يداً بيد مع ظاهرة «وسواس» الكتابة الأدبية، خصوصاً الكتابة الروائية التي راودت عدداً من المؤرخين المعروفين. هناك من ظلّت رغبته الدفينة تلك حبيسة صدره بحيث لم يترجمها إلى الواقع، وهناك من حوّلها إلى حقيقة. يحضرني هنا مثال المؤرّخ العربي الكبير عبدالله العروي الذي كتب أربع أو خمس روايات.

ينبغي أن ينظر إلى التاريخ في تقدير إبيستمولوجي على أنه شكل أدبي ينتج المعرفة بواسطة بنيته الجمالية والسردية. في النهاية، هو ـ أي التاريخ ـ يعود إلى إبداع المؤرّخ وقدرته على فرض صورة سردية عن الماضي. والحق أنّ هناك ثلاثة أسباب تجعل المؤرّخ يعتبر التاريخ مادةً أدبية. أول هذه الأسباب ارتباط المؤرّخ بالوثيقة وما تتضمنه من نقائص. أما السبب الثاني فهو الحاجة إلى إقناع القارئ، ما يتطلب جهداً تفسيرياً. أما السبب الثالث، فيمثل ارتباط التاريخ بالسرد. سبق للمؤرّخ هايدن وايت أن وضّح كيف يشكّل السّرد الحلقة الرئيسية في كل العملية الاستوغرافية لأنه «في الوقت عينه أسلوب يتم بواسطته التأويل التاريخي، وخطاب نُفهم من خلاله القضايا التاريخية». وإجابة عن سؤالك، أقول باختصار شديد إنّني أحاول جهد طاقتي أن أوائم بين البحث التاريخي والإبداع الأدبي، أن أجدلهما في ضفيرة واحدة. إنني في سعي دائم للكتابة بطريقة أكثر حريّة وطرافة وعُمقاً تأملياً، حتى أبرهن في النهاية أنه في مقدور الباحث أن يكون دقيقاً في كلامه واستنتاجاته وجذاباً في أسلوبه وعرضه في آن معاً. وأنا في هذا الصدد، لا أخفي إعجابي بالآراء الجريئة للمؤرخ والروائي الفرنسي من أصل بولندي إيان جابلونكه التي ضمّنها كتابه «التاريخ أدب معاصر». كتاب دعا فيه إلى المواءمة بين العلوم الاجتماعية والإبداع الأدبي. ويبقى الإنتاج الإبداعي بالنسبة إليّ فضاء حريّة لا حدود له، إذ لا قيود تكبّلني – في ما أرى – خلافاً للسردية المرجعيّة التي تظل حبيسة نطاقات منهجية وإبيستيمولوجية صارمة.

■ خصّصت كتابك «دولة الهواة» للحديث عن الفشل العميق لصعود الحركات الإسلامية في تونس. برأيك، لماذا يفشل الإسلاميون في الحكم؟

ـ دعني أقول باختزال شديد وببساطة، مع أنه موضوع يتشعّب ويطول، إن الإسلاميين فشلوا في امتحان الحكم في كل الدول التي أشرفوا على مقدّراتها لأنّهم ليسوا أهلاً لحكم الدولة الحديثة. وهذا على أي حال ما حصل في تونس خلال الحقبة 2011 -2021. أنا أعتبر تجربة حكم الإسلاميين في تونس حالةً نموذجية فعلاً في هذا الصدد أي أنّها ـ كما يقول الفرنسيون ـ تستحق الدراسة العميقة والتدبّر والتأمل. غياب البرنامج، واستسهال السلطة، والتفرّد بالحكم وابتلاع أجهزة الدولة أو ما يُعرف بالتمكين، مع غياب ثقافة الدولة، والجهل الكبير بطبيعة المجتمع التونسي وبتاريخه وبثوابته... كل هذا كان سبباً لغياب الكفاءة وانعدام الجدارة، ما أدّى إلى نتائج دراماتيكية وإلى دفع البلد تجاه اختناقه الأكثر حرجاً في تاريخه الألفي. ومن تمام الحق القول بأنّ بعض القياديين من «حزب النهضة» التونسي أمثال حمادي الجبالي وعبد الفتاح مورو ولطفي زيتون قد أقرّوا بالفشل الذريع لحزبهم في حكم تونس، ما يحمد ذلك لهم.

فصل من رواية

بازيريك (*)

عبد الرحمن الماجدي (**)

دسّ مراهقٌ أبهق، من موزّعي الإعلانات الورقيّة، من فتحة باب المنزل حزمةً، يعضد كبيرها صغيرها في محنةٍ لا تدوم في كيس النايلون الشفّاف. قبل أنْ أشقّ الكيس لإخراج سجنائه الورقيين، كي تبدأ رحلة الإغراء باللون والسعر وصور أرباب وربّات الوسامة والجمال من شبّان وفتيات الإعلان، جذبتني نقوشُ وزخارف كتيّب، ميّزتها فرادتها، تتباهى بين بضائع الغرب القاسية. جماله يبرز من بين حزمة كتيّبات الإعلانات الأكبر منه حجماً. كأنّها تحاول إزاحته، موقنةً بفتنته الطاغية، لكنّه كان باسلاً في إبراز زخارفه الساحرة.

وحده، الكتيّب الشرقي الغلاف هذا، استقرّ بين كفّيّ، بعدما شققت أعلى الكيس. رحت أتصفّحه مفتوناً، غير مبالٍ بما تمدّد، على مقربةٍ، من رفاق رحلتِه، مبعثرين، على الطاولة.

أغرتني صفحاته، المزيّنة بالزخارف الدقيقة المتعدّدة الألوان، بزيارة متجر السجّاد الذي تعرض دعايته تخفيضاتٍ في الأسعار.

فرادة كتيّب الإعلان الفارسي التصميم، ليست نفسها في بلدانٍ بشمال أفريقيا أو أخرى شرقيّة، ممتدّة، عمقاً، بتاريخ ثقيلٍ من الفنون والآداب والعلوم، صيّرتها قبلة العالم في أيّامٍ غابرة. أيّ إعلانٍ غربيّ في بلدٍ شرقيٍ لنْ يكون بذات الفرادة التي نجدها في إعلانٍ شرقي ببلد غربيّ، بسبب سطوة العولمة وشيوع النمط الغربي، والأميركي خصوصاً، حتى في البلدان الشرقيّة، فأصبح المخالف لهما لافتاً للانتباه، وربّما سيكون نادراً لو استمرّت تلك السطوة تطوق حياتنا. لمْ أدخل المتجر، سابقاً، خلال مروري بجواره. كنت ألمح موظّفة سمراء تدلّ ملامحها على أنّها من دولة السورينام، إحدى المستعمرات الهولنديّة السابقة، تجلس خلف طاولة الاستقبال، ورجلاً يحادث الزبائن يرغّبهم ببضاعته، أو منشغلاً أمام شاشة الحاسوب، في مكتبٍ زجاجي.

مدفوعاً بإغراء الإعلان، ها أنا ألجه، ثاني مرّة، مع بداية الأسبوع، بعدما بحثت في محرّك البحث غوغل عن معنى اسمه: بازيريك.

كانت المرّة الأولى قبل ذلك بأربعة أيام، وجدته مزدحماً بزبائن هولنديين وإيرانيّين وأتراك، بعضهم تجّار صغار يفضّلون الركون للأمان ببيع المفرد من السجّاد على ركوب قارب المجازفة بتجارة الجملة التي تستوجب ثباتاً وقوّة قلب. غادرت المكان، مكتفياً بنظرات فضولٍ لزخارف السجّاد المتعدّد الأبعادٍ والألوان، مفضّلاً زيارته في أوّل الأسبوع حيث تكمن حركة الزبائن، ويختفي صغار التجّار، منشغلين بإعداد حسابات الأسبوع، وجداول تحصيل الأرزاق بما درجوا عليه من خبرةٍ وحيلٍ حميدةٍ وخبيثةٍ، تسهّل استدراج زبائنهم. بدا المتجر، الواقع على كتف مركز المدينة التجاري، واسعاً، تتدلّى ثريّات سقفه بتراتبٍ متقن، وتتوزّعه نماذج من السجّادٍ الفارسي المصفوف، مفروشاً، فوق بعضه، والمنشور على الجدران بألوانٍ ونقوشٍ حميمة وزخارف دقيقةٍ متشعّبة الخطوط والمنحنيات؛ الحلزونيّ والمثلّث المحاط بنجماتٍ ثمانيّةٍ وعشريّةٍ واثنتي عشريّةٍ، تحمي بعيونها، المفتوحة، أبداً، فرساناً عائدين أو ذاهبين إلى الصيد، وغزلاناً وسباعاً تتناسل في سلامٍ انعكس على رقع السجّاد.

في ركنٍ، ازدحم بسجّاد حريريّ متباهٍ بحروف الجلالة، بالأحمر القاني والأزرق الداكن، ثمّة دراويش يدورون حول شيخ الطريقة في ليلةٍ هبطت فيها السماء، مقتربةً من مسجدٍ غصّ بالمريدين، يزاحمون، في الطاعة والتعبّد، بلا كلل، ملائكةً يحلّقون في هواءٍ ساكنٍ يهمّون بالنزول.

المكان خالٍ إلّا منّي، ومن موسيقى فارسيّة الإيقاع، يزاحم فيها السنطور الرزين آلة الجوزة الحزينة، بخلفيّة إيقاع وئيد. مشيت بخطى هادئةٍ إلى المكتب الزجاجي. سمعت حركة تشابكٍ وهمهمةٍ تطفر منها بعض كلماتٍ مكتومةٍ، خلف جدارٍ خشبيٍّ مصبوغٍ بلونٍ رصاصيٍ يفصل، كمخزن، طاولةَ الاستقبال وبهو المتجر عن عتمته المضاءة، قسراً، بحزمة ضوءٍ تسلّلت من زجاج نافذةٍ علويّةٍ تطوّق، مثل حزام، هامة بناء المتجر. اتّجهت إلى مكان الصوت بدافع الفضول والإثارة اللذين ولّدهما صوتٌ أنثويٌ مكتوم. اقتربت، وقد اتضحت لي صورة ما يجري من فعلٍ جنسيٍّ ينطوي على خيانةٍ ما بدلالةِ المكانِ المختار، وخوف فاعليه من الفضيحة. قبل أن أصل إلى بداية الممرّ، ضربت بحذائي الأرض، كي يعلم منْ خلف الجدار بقدومي. انتابني قلقٌ رافقه ازدياد ضخّ دم الخوف في قلبي. ربّما صديقٌ للموظفة السورينامية يضاجعها الآن هنا، ماذا لو هاجمني، فما دخلي أنا بها؟ لست صاحب المكان، ولا أمتّ لأحدٍ فيه بصلة. لكنّي لم أتراجع. مضيت بخطى صاخبةٍ، فولجت الظلمة المضاءة بما تساقط من خيوط الضوء المنبعث من الكوّة الزجاجيّة في الأعلى.

مثيراً كان ما رأيته؛ سيّد المتجر الذي كنت أشاهده من خلف الزجاج في أثناء مروري بدرّاجتي الهوائيّة، وزيارتي غير التامّة. ها هو أمامي رجلٌ ستينيٌّ طويل القامة، مكتنزٌ، أبيض، بشارب، يكسو الشيب أغلب شعره. يجلسُ على كرسيٍّ، فاتحاً ساقيه، وبينهما تقف الموظفة السوريناميّة، تحاول إكمال ارتداء سروالها الذي علق بإحدى ساقيها. بقي الرجل هادئاً. مرتبكةً كانت الموظفة، تكمل ارتداء سروالها، فشاهدت لون ساقيها تكسو سمرتهما صفرة. بعد انتهائها من ارتداء السروال، اتجهتْ نحوي بابتسامةٍ مذنبة. مشينا إلى باحة البهو، قالتْ، بصوتٍ مسموعٍ، إنّها كانتْ تساعد صاحب المتجر بتدليك ساقه الموجوعة.

تبعنا صاحب المتجر، فغادرت الموظفة إلى طاولة الاستقبال قرب المدخل. نظرته متحدّية. لمْ يتحدّثْ عن جلوسه مع موظفته، مختبئيْن، خلف الجدار الطويل. كان واثقاً من نفسه كثيراً. ابتسم بفتور عارضاً مساعدته بكلماتٍ هولنديةٍ ذات لكنةٍ فارسيّة. شكرته، مستسلماً لنظرته الواثقة، وأفصحت له عن عدم إلمامي الكبير بأنواع السجّاد، بالكاد أعرف منه الكاشانيّ، الذي أظنّه أفضلها، مع معلوماتٍ متواضعةٍ عن تاريخ السجّاد. زادت ابتسامته، فأوضح لي أنّ سجّاد مدينة كاشان جيّد، لكنّه ليس أفضل السجّاد الفارسيّ، ثمّة النائيني والأصفهاني والتبريزي والقمّي والكرماني والأراكي. استعرض خبرته في تعداد أنواع السجّاد، قبل أن أباغته بسؤالٍ عن سجادةٍ منشورةٍ على جدارٍ قريب، بطول أربعة أمتارٍ وعرضٍ ثلاثةٍ، «أهذه أمّ السجّاد الفارسيّ؟» ابتسم مشجّعاً «ها أنت تعلم!». منحني كلامه فرصةً كي أستردّ ثقتي أمام هيمنته الواثقة. نعم، لكن هذا عرفته أمس بعد بحثي عن اسم متجركم. قلت، ورحت أحاول تحدّيه بلغة العينين. كانت عيناه، تتفرّسان بعينيّ ووجهي لثوان، كأنّهما تفتّشان فيهما عن ممسك ضعفٍ يتمكّن به منّي تماماً. ثمّ واصل كلامه «نعم، نعم، بازيريك».

عرض عليّ مرافقته بجولةٍ على أنواع السجّاد الذي تشمله نسبة التخفيض، تبعته، مسلّماً بانتصاره، في لعبة تبادل النظرات. مسح بكفّه على سجّادةٍ مفروشةٍ على عشراتٍ مثلها بألوانٍ ونقوشٍ مختلفةٍ، بانتْ زخارفها وهي تبهر العين، بدقّتها وألوانها الموزّعة بين النبيذي والبيج والبنيّ الفاتح والأسود.

بعدما اطمأن من استسلامي بفعل حدّة نظراته، سألني عن بلدي الأمّ، أجبته «نحن جيران، أنا من العراق». مدّ يده لي مصافحاً مفْصحاً عن اسمه «فريد». صافحته معرّفاً باسمي أيضاً. أهلاً بك، وأردف: «العراق يستورد كثيراً من السجّاد الايرانيّ المقلّد». قلت إنّ «العراق يستورد كلّ شيءٍ من إيران»، فابتسم بغبطةٍ زادتْ من اعتداده بنفسه، لكنّي، مأخوذاً بسطوة نظرته، أضفت: «أغلب الدول تستورد سجّادكم باعتباره الأفضل، الأصليّ والمقلّد».

هزّ رأسه مؤيّداً، وبقي بجانبي، يرغّبني، بكلامه ويرعبني بنظراته، وأنا ألمس وأتفرّس في نقوش نسخةٍ مقلّدةٍ لسجّادة «بازيريك». ظلّتْ عيناه ترمقانني كلّما نظرت صوبه، فأزداد استسلاماً لتحدّيه وكبر سنّه ووقاره القاسي وصوته الصافي وجسده المعتدل القوام.

دخل شابٌ أبيض وسيم طويل في بداية الأربعينيّات، يرتدي سروال جينزٍ وحذاءً رياضيّاً، تتدلّى من كتفه الأيمن حقيبة صوفيّة موشّاة بزخرفةٍ شرقيّةٍ، يعتمر قبّعة بيسبول بالمقلوب، بانَ، من خلال فتحتها الخلفيّة المغطّية لجبهته، شعْر رأسه الأسود. صافح السيّد فريد باحترام وتحدّثا بالفارسيّة. نظر إليّ مبتسماً وحيّاني بالهولندية، أجبته «حال شما؟». ضحكا معاً، ومدّ يده مصافحاً، «خوش آمديد» معلناً عن اسمه «رضا». عرّفته باسمي وأنّي من العراق أصلاً. واصلت كلامي بالهولنديّة: «لكنّي لا أعرف من الفارسيّة سوى ما سمعته منّي». ضحكنا ثلاثتنا، لكنّ ضحكهما كان أعلى. قال السيّد فريد إنّ «حال شما» عبارةٌ ناقصةٌ يجب أنْ تتبعها بـ «خوب است» كي تكتمل «حال شما خوب است؟» وهي تعني هلْ أنت بصحّةٍ جيّدة؟ ولا أظنّك تقصدها. أنت تقصد كيف حالك؟ التي تكون بالفارسيّة: «جتوري» أو «حالتان جتوري است؟»، ويكون الردّ عليها بالعبارة الفارسيّة الشهيرة: «خيلى ممنون» أو «تشكّر مى كنم» أو «سلامت باشيد».

أحرجني توضيحه. شكرته على هذا الدرس في اللغة الفارسيّة، بعدما كنت أتباهى أمام معارفي، حين نلتقي شخصاً إيرانيّاً، بتينك الكلمتين من تحيّةٍ منقوصة.

لذلك، إذاً، كانا يضحكان، ومثلهما كان كلّ إيرانيٍّ ألتقيه وألقي عليه هذه التحيّة المغلوطة.

ذهب الشابّ باتّجاه الموظّفة السوريناميّة وراحا يتحدّثان. برزتْ منها نظرةٌ قلقةٌ تجاهي، وأنا بجانب السيّد فريد. سلّمته ورقةً، فغادر المكان يقرأها وهو داخلٌ المكتب الزجاجيّ.

سألني السيّد فريد إنْ كانت قد أعجبتني إحدى السجّادات التي تمتدّ أمامنا، «كلّها رائعة»، قلت. رنّ هاتفه النقّال، كان قد رفض المكالمة مرّتيْن، فردّ وانشغل بحديثٍ بالفارسيّة. جاء هذا الاتّصال رحمةً بي، فلو زاد من ترغيبه لي، لوجدتني مجبراً على شراء سجّادةٍ من دون تخطيطٍ لحاجتي إليها من عدمه.

بقيت أتأمل أنواع السجّاد. عاد رضا منْ دون حقيبة الكتف، واتّجه إلى زبونيْن هولنديين، وهما رجلٌ وامرأةٌ، يعرض عليهما سجّادةً كانا يتحسّسانها بأطراف أصابعهما، رفعها أمامهما ومرّر كفّه عليها، ثم طوى طرفها، وطلب منهما لمس ظهرها، فاستجابا ثمّ أعادها لصورتها الأولى، ممرّراً سبّابته بقوّةٍ على النقوش الدقيقة للزخرفة، ليريهما جمال النسيج ودقّته وجودته. بقي الزبونان يتفحّصان السجّادة باللمس والنظر، ومقارنتها مع أخرى تحتها، وقد انضمّ إليهما السيّد فريد، فاستقرّ أمرهما عليها، وقدْ أحاط بهما هو ورضا، بعدما تأكّدا من أنّهما حسما أمرهما عليها. ارتسمتْ ابتسامةٌ على فم صاحب المحلّ، وطلب منهما مرافقته إلى المكتب الزجاجيّ، الذي تطلّ واجهته المفتوحة على فناء المكان.

جاء رضا عارضاً مساعدته عليّ. شكرته وأخبرته أنّ دافع الفضول جاء بي للتمتّع بالنظر إلى زخارف السجّاد وألوانه وربّما اخترت واحدة. سألته إنْ كان كلّ هذا السجّاد، المكدّس بإحكام، أصليّاً مشغولاً باليد؟ أجاب نافياً. «لكنّ ثمنه مرتفع»، قلت، «لأنّه منسوجٌ من الحرير والصوف»، ردّ، ورفع ذراعه مستعرضاً بها السجّاد «هذا مصنوعٌ بالمكائن، لكن بمراقبة نسّاجين مهرة». قال إنّ متجرهم يحوي سجّاداً مشغولاً باليد، لكنّه يعدّ على أصابع اليديْن، لارتفاع سعر الحجم المتوسّط منه إلى أكثر من عشرة آلاف يورو.

حدثته عن سجادٍ يدويّ شاهدته في أصفهانَ بأنواعٍ فاتنةٍ، وبأسعارٍ معقولة. تعذّر رضا بكوابيسٍ الضرائب التي تجثم على صدور التجّار، وتكاليف الشحن من إيران إلى أوروبا، وليس كلّ ما يُعرض في إيران من سجّادٍ مشغولٍ باليد، حتّى إنْ أخبروك بذلك، فهو يحتاج إلى من لديه خبرة، مع تطوّر التقنيّات التي صارتْ تقلّد حتى شغل اليد. قلت مازحاً: «ربّما نترافق ذات يومٍ بسفرٍ إلى إيران، وتدلّني على الأفضلٍ حياكةً والأرخص سعراً والأصليّ من المقلّد». ردّ مبتسماً «ربّما، لكنّ وقتها سيقاطعني تجّار السجّاد في إيران، لأنّي أكشف أسرارهم للزبائن». بادلته ابتسامة أعلى مماثلة.

تجاوبه سهّل عليّ زيادة فضولي. سألته عن مصدر بضاعتهم إنْ كانت من إيران فقط أو من دولٍ أخرى تقلّد ذات النّقشات الفارسيّةَ. حثّته أسئلتي كي يسهب في الحديث عن سفره، مرّاتٍ، كلّ عامٍ، إلى إيران، من أجل تلبية طلباتٍ زبائن في هولندا، من الإيرانيين والهولنديين وبعض رجال الأعمال الرّوس، وأن لا مصدر غير إيران لسجّادهم في هذا المتجر، الذي يملكونه وثلاثة متاجر يتشاركون بها مع تجّارٍ إيرانيين في روتردام ولايدن وأوترختَ كلّها باسم «بازيريك».

كان للصفقة، التي يوشك رئيسه على إتمامها مع الزبونيْن الهولنديّيْن، أثرٌ في طاقته الإيجابيّة التي انعكستْ أريحيّةً على إجاباته الموشّاة بابتساماتٍ على محيّاه القريبة لعائلة صاحب المتجر، الذي ناداه كي يساعده بطيّ سجّادة الزبونيْن الهولنديين، اللذيْن اختارا آخر نسخةٍ معروضة. حملاها إلى جوف المتجر، واتّفقا مع الزبونيْن على عنوانهما، ووقت إيصالها وتاريخه.

استعرضت أنواعاً أخرى من السجّاد، نظرت إلى موظّفة الاستقبال، فطمأنتها بنظرتي التي بادلتها بشكرٍ، لمع في عينيها، وبابتسامةٍ ظلّتْ على فمها، حتّى مغادرتي. التقطت، عند باب الخروج، كتيّب صورٍ ومعلوماتٍ عن المتجر من رزمةٍ مجهّزةٍ بعنايةٍ على طاولةٍ في زاوية الباب. لوّحت لهما، بالكتيّب، شاكراً، فنادى صاحب المتجر «خودا حافز». رددت مبتسماً «خلي متشكرم»، لكنّه لحق بي حاملاً نموذجاً مصغّراً من سجّادةٍ فارسيّةٍ، بأبعاد نصف مترٍ طولاً وثلاثين سنتمتراً عرضاً، ناولني إيّاها مركّزاً نظراته في عينيَّ، فقبلت شاكراً. كان قبولي الرشوة، هديّة الترضية، نهاية لعبة النظر التي عذّبني بها، منتصراً، السيّد فريد في المتجر. ليتني رفضتها، لكنت مارست تحدّياً ضده، لكن هلْ قبولي بها ساواني به وبالموظّفة السورينامية؟ كأني قرأت ذلك في عينيه، وهو يدسّ السجادة الملفوفة في كيس نايلون، طُبع عليه اسم المتجر المؤطّر بزخارف رباعيّة الألوان.

(*) من رواية بالعنوان نفسه، صدرت حديثاً عن «دار مخطوطات» في هولندا.

(**) العراق/ هولندا

سجّاد بازيريك مكتشف في جبال ألطايْ (متحف موسكو ـ تفصيل)

نص

حوارات بلا فائدة

محمد شحادة *

-وماذا يُخَبِّئُ في معْطفهِ بائِسٌ مِثْلك؟
أحلامَك، أم أنَّكَ شيوعيّ قَذِر، أو أنَّكَ من النّاحيَة الأخرى مِنَ العالَم؟
-لا يا سَيّدي، إنَّهُ البردُ فَقَطْ!
-وماذا يَعني لِمِثْلِكَ الدّفء؟
-الصَبّار
- الصَبّار؟!
- وَحدَهُ. إنَّهُ أَشَدُّهُم عناقاً، وَدِفئاً.

-المُصابُ بِعَمى الأَلْوان
-نَعَمْ؟!
-إنَّهُ الشَّخصُ الوحيد
الَّـذي يَستَطيعُ اختيارَ الثّيابِ
المناسِبَة لكُم
ولكِن ليسَ له.

-ماذا تفعلُ الآن؟
لا شيء
أَعدُّ القبور،
عوضاً عن عدّ النجوم.

-هَلْ تَشُكّ بوجودِ الجحيم؟!
-قُلت: هلْ تَشُكّ بشيء أَنْتَ مَوجودٌ فيه؟

-الإتفاقيات؟!
-إنَّها عمل الملوك
مثلاً إنهم حتى الآن مختلفون إذا كان الله يهودياً أو مسيحياً أو مسلماً.

ظِلّي لَمْ يَعُدْ يَكْفي
لِيَصْلُحَ أن يَكون
فَأْساً في يدِ الشجَرَة
وملامحي لم تَعُد تَصلُحُ
حتى أنْ أكونَ فَزّاعةً
في حَقْل.

-ماذا يعني لك الأَمَل؟
-يعني، أنْ تُخْبرَ شخْصاً أن لديهِ
سَرطاناً في مرحلَتِه الأَخيرة
ثم تقولُ له إن اللهَ سيشْفيه!

أي شيء مُعَدْ لقتلنا.
ذرَّة الغُبار، الماء، السّلاح، السّكتات القَلبية، الكِلمة، الحب، الصّداقة، الشّجاعة، الإرادة، السرطان، الأمراض، الكوارث، الحوادث (بالأشخاص أكثر من السيارات)، الورق، الكتابة، الألم، الحرب الصلاة، الولادة...
لا أعلم كيفَ صَمَدنا ونجينا إلى الآن.
بوسع الشخص أن يكون سعيداً جداً
وهو يمارس الحب مساءً مع زوجته
أو يشرب الفودكا ثم يخرج من بيته
فيُصاب برصاصة طائشة، فتكتمل سعادته هكذا،
كل رصاصة طائشة تسكنها روح طائشة.

سيّدي ما كنتُ أريدُ أن يخلقني
جائعاً في الصومال،
تشق بطونهم فتجدُ «الله»
فـ «الله» لا يؤكل
ولا شبعا في الخليج
تبقر بطونهم فيخرج النفط
ولا أن أكون ثائراً في كوبا
ولا إرهابياً في أفغانستان
ولا عاشقاً يمارسُ الحبَّ في باريس
ولا متسوّلاً في الدول العربية
ولا سفيراً للنوايا الحسنة في لجنة الأمم المتحدة
ولا بطلاً لديه قطة اسمها بيروت
كل ما أردته
لو لم أُخلق أبداً.

أنْتَ تُسْرِفُ عُمْراً كامِلاً
لِتَكْبُرَ يوماً
أو لِتَعيشَهُ
هذا كُلُّ ما في الأَمر.

إذا كانَ ما يَمنعُكَ عن الفسادِ
والظُّلم والقتلِ
والسرقة والتَّحرشِ والإرهاب
هوَ (توَقّعك) مكافأةَ إلهية
وجنَّة عرضُها السموات والأرض
فأنتَ أحمَق
ومُنافِق.
ما تفعَلهُ في السرِّ يظهر في العلنِ أيضاً.
اللّه أوضحُ منْ نواياكَ
والأشياء الجميلة
لا تقاسُ أبداً.

أيها الأصمّ ابتهج
لن تَسْمَعَ صوتَ الرَّصاصِ
ولا
«يومَ يُنفَخُ في الصّور»
السَّمعُ يدُ الخوفِ الثّانيَة.

خُلِقَ القَفَصُ منْ ريشٍ
وَأجنِحَة
المَناديلُ خُلِقَتْ مِنْ لقاءٍ أبديّ
ودمعة لها عَينانِ
الصَّبار ولِدَ مِنْ عِناق
هوَ الطفل والأم معاً
الشيطانُ خلقَ مِن فَضيلَة
وأعظم خدعة مارسها الشيطان
هي إقناع العالم أنه ليس موجوداً.
خلَق الملاكُ مِنْ خطيئَة
السماءُ خُلِقَت منْ ثِقلٍ في أَنفاسِكِ
المرأة لم تخلق من ضلَعه
ولا من كوعه
كانت لحظةً مناسبَة لقتلِ الماء
ودهشة بلور في مقبرة.

الهواء يدخل من الثقوب
والضوء أيضاً
لماذا إذا لا تدخلين من قلبي،
قلبي مليء بالثقوب.

القفص كانَ طائراً
ثمَّ زادَ طول جناحيه سنتمترا واحداً
فعلّقوهُ على جدارِ الغرفة.

* لبنان

ادوار هوبر ـ «رجل على سرير» (1905 ـ 1906)

قصة

سنجاب يتظاهر بالموت

سنابل عبد الرحمن *

كاد وقع خطواتها على الرصيف الإسمنتي المتكسّر في بعض المواضع أن ينوّمها، أن يبعثها إلى ذلك المكان البعيد من هنا. أرسلت ببصرها نحو الستارة الثقيلة الزغبية المسدلة فوق العمارات ذوات الإبر العظيمة التي تخترق السماء البيضاء وأخذتها رائحة شجر الغابة النديّ بمطر جامد وتعفّن حبّات الفاكهة الغريبة الساقطة على الأرض. حاولت أن تتذكّر إن كانت أمها قد قدمت لزيارتها فعلاً البارحة أم إنها تخيّلت ذلك وكانت أطراف أصابعها تداعب زرين نحّاسين في جيب معطفها كانت قد تركتهما أمها لها في حال أضاعت أحد أزرار المعطف أو كسرته سهواً.

أثارت، في تفحّصها القلق لمحيطها، رقعة بنية انتباهها. اقتربت من جذع إحدى الشجرات لتستدلّ عليها. كانت جثّة بنية برّاقة لسنجاب صغير بذنب طويل رائع وعينين منفتحتين على أوسعهما، أحد مخلبيه مثن كأنه يتضرع إلى شيء ما. وقفت مطولاً أمام السنجاب. كان نظيفاً جداً ولم تر أثر خدشة أو نقطة دم على جسمه، وكانت عيناه المفتوحتان برّاقتين نضرتين. تساءلت إن كان السنجاب يتظاهر بالموت فقط حتى لا يسرق إحدى ثمراته أو يؤذيه عابر طريق. فمشت قليلاً مبتعدةً عنه ثم لبثت مكانها جامدة تنتظر أن يثب السنجاب إلى الحركة مسرعاً. انتظرت مطوّلاً ولم يتحرّك السنجاب. نزعت عنها معطفها الثقيل وأنامته على الكنبة الجلدية الضيقة بجانبها. بعثت رائحة الخشب القديم والجو المعتم، إلا من بعض اللمبات الخافتة في السقف الخشبي العالي، خمولاً شتوياً أشعرها بالنعاس. كان الرجل يجلس أمامها يحتسي شوربته مصدراً صوتاً مزعجاً بالنفخ عليها. «وعملك؟» سألها بألمانيته الرصينة. ردت عليه باقتضاب ملول. أجالت عينيها في معالم المكان وكان انعكاسها في المرآة الضخمة على يمينها يقلّد كل حركة طفيفة تصدر عنها كأنما في استهزاء. قاطع تفحّصها المسهب أحد أشباح الشهداء واستأذنها بالجلوس معهما لبرهة قصيرة. لم يعجب الرجل ذلك التطفل، لكنه لم يعلّق وأكمل احتساء طبقه. «طبعاً، اجلس أرجوك» دعته مبتسمة.

سألها الشبح، بصوته الشجن الممتد نحو الأفق، إن كانت تستطيع مساعدته في التقديم إلى تأشيرة إقامة في ألمانيا. «المعاملات الورقية كلّها باللغة الألمانية» أعلمها بأدب، «وأنا لا أعرف غير العربيّة... أنت خمّنت ذلك بالتأكيد. لا أريد تعطيلك، أنا سمعت فقط من أحدهم أنه بإمكانك المساعدة. وأنا أعرف أنهم هنا لا يحبّون إعطاء تأشيرات إقامة للأشباح العربية، ولكنني مضطر...». أطرق رأسه نحو الأرض وسادت فترة صمت لمحت، خلالها، رقعاً سوداء تتساقط عن الشبح ذي الصوت الشجن على الأرض. تظاهرت بعدم ملاحظتها وكانت قدم الشهيد اليمنى تدفع بروي الرقع إلى تحت الكرسي تحرجاً. وعدته بالمساعدة أقصى جهدها ومن ثم مزقت قصاصة ورقة من كتاب كانت تحمله كتبت عليها عنواناً وسلّمتها برفق للشبح. رد عليها بابتسامة منكسرة وأعلمها أنه يجب عليه الرحيل - مما ترك غصة في حلقها. ربتت على كتفه البارد في سلامه عليها مودّعاً. التفت للألماني الذي كان قد أنهى حساءه ويجلس صامتاً متابعاً إيّاهما. هزّ الشهيد رأسه مودعاً ورحل.

- «هل كان لزاماً أن تفعل ذلك؟» سألته منرفزة بألمانية مكسرة

. «أفعل ماذا؟»

. «أن تعامله بهذا البرود؟»

. «لم أعامله ببرود. أنا لم أتحدث معه أصلاً... لا أفهم لماذا يأتونك دائماً هكذا ويقاطعون اجتماعنا»

. «كنت منشغلاً بحسائك وأنا لم يطل حديثي معه»

. «نعم، لكنهم يفعلون ذلك دائماً. أكان هذا شبحاً فلسطينياً أيضاً أم عراقياً أم...؟»

. «وهل تكترث؟»

لم يرد عليها. بعد فترة صمت طلب أن يهدأ كلاهما وألا يعكرا صفو الليلة. قدم نادلاً كهلاً يحمل كعكة بيضاء صغيرة عليها شمعة واحدة نحوهما. لمحت تحت ضوء الشمعة الوحيدة الخافت التجعدات التي غزت يديه المرهقتين ولحقت ببصرها وجهه الذي كانت ملامحه تبان وتنضوي تحت الظلام الناعم والشمعة الصغيرة تنتفض فوق الكعكة. كانت عيناه المائيتان بسبب الكهل تكادا أن تكونا من غير لون، وكانت تعتلي عينه اليمنى ندبة كبيرة زهرية اللون لم تندمل أبداً. حطّ الرجل المتعب الكعكة على الطاولة بينهما متنهداً ورحل ببطء نحو المطبخ.

زادت محاولات الشمعة البائسة بالترويح عنها من نعاسها. ظلّت تراقب الشمعة بفضول بارد حتى قاطعها زوجها سائلاً إياها بغيظ «ما بك الآن؟ أهكذا تحتفلين بعيد زواجنا؟»

. «ما قصدك؟»

. «قصدي هذا الصمت. ما بك؟».

- «رأيت، أثناء المشي اليوم سنجاباً ميتاً بين الشجر».

أبعد زوجها السكينة التي كان على وشك تقطيع الكعكة بها إلى جنب. «أنا لا أفهمك حقاً. لماذا تفتحين سيرة كهذه ونحن على وشك تناول الحلوى؟».

أحزنها منظر زوجها الذي تغضّن وجهه كورقة في مهب الريح. اقتربت منه مصدرةً في حركتها صوت انزلاق حاداً من على السطح الجلدي للكرسي. أخذت بالسكينة وقطعت أربع قطع صغيرة لهما من الكعكة التي اندملت فوقها الشمعة تاركةً آثار اسوداد في المنتصف. وضعت قطعتَي كعك في صحنَيهما. ودفعت شوكة نحاسية برفق نحوه. انشقت شفتاها عن ابتسامة كسولة وباشر اثناهما بالأكل. بعد برهة قالت له «لقد ضحكت عليك...لم يكن السنجاب الذي رأيته ميتاً حقاً، كان فقط يتظاهر بالموت». ابتسم الرجل لزوجته التي كانت تأكل الكعكة بروي، ويدها اليسرى راقدة بجنبها، مثنية كأنها تتضرع إلى شيء ما.

* مصر

سارة لوكاس ـ «امرأة وحمامة» (2011)

انتروبولوجيا

ريتشارد رانغام: النار... شرارة الحضارة الأولى

خليل صويلح

لم يكترث تشارلز داروين (1809 ـ 1882) لتاريخ إشعال النيران إلا متأخراً. فقد كان منهمكاً في تأريخ تطور النوع البشري في كتابه «أصل الأنواع». لكن أثناء رحلته حول العالم التي استمرت نحو خمس سنوات، اختبر شعور أن تكون جائعاً في البرية وضرورة إشعال النار لطهو الطعام. هنا أدرك أن النار أعظم اكتشاف بشري بعد اختراع اللغة.

في كتابه «إضرام النيران: الطبخ الذي جعل منّا بشراً» (2009) الذي انتقل أخيراً إلى لغة الضاد (دار كنعان، ترجمة غلاء سمير أنس)، يضيء ريتشارد رانغام على مكابدات رحلة البشرية من النيء إلى المطبوخ، والأعباء التي رافقت هذه السلالة المتحوّلة قبل استعمال النار في تحضير الطعام، وتالياً الافتراق عن سلوكيات وحوش البراري. لكنّ هذا التطوّر احتاج إلى نحو مليوني سنة، إذ بقي النيء حاضراً، مثل دهن الحوت، وأكباد الفقمات والوعول، وروث الظباء، وبيض السلحفاة. على غرار الإسلاف، اضطر 27 راكباً، إثر تحطّم طائرة في جبال الأنديز 1972 إلى اللجوء إلى الشاطئ لمدة 71 يوماً، وتناول جثث الموتى بينهم. كما عاش بضعة جنود يابانيين في الأدغال بعد الحرب العالمية الثانية حتى عام 1972 يقتاتون على الفواكه والحلزونات والأفاعي والجرذان. وعندما تشاجر الكسندر سيلكريك مع قبطان سفينته عام 1704، أنزله على شاطئ مهجور في المحيط الهادي، وبقي نحو أربع سنوات وحيداً، وكان لديه الإنجيل الخاص به: بندقية مع قدر من البارود، وفأس صغيرة وسكين. وعندما شارف وقود بندقيته على النفاد، قام بحكّ غصنين من أخشاب البيمنتو فوق ركبته، واستطاع أن يطبخ طعامه طيلة فترة ضياعه. ويشير الباحث البريطاني في فصل لاحق، إلى أن الطبخ كان عاملاً حاسماً في انتقال الكائن البشري من كونه حيواناً بدائياً إلى امتلاكه الصفات الأكثر بشرية، متتبعاً آثار مواقد النيران المكتشفة في مواقع أثرية مختلفة، معظمها يعود إلى نحو أربعمئة ألف سنة. ففي أحد المواقع الألمانية، اكتُشف موقد ورماح منحوتة من الخشب وبقايا عظام أكثر من 22 حصاناً. وهكذا، فإنّ الأغذية المطبوخة هي التي طوّرت الدماغ البشري، أو كما يقول الفيلسوف بليز باسكال: «ليس الإنسان سوى ريشة أضعف مخلوق في الطبيعة، ولكنه ريشة تفكّر». التفكير إذاً، قاد البشر إلى استعمال القدور المصنوعة من الخيزران في الطهو، وتحسين عملية الهضم، جنباً إلى جنب مع تطوّر العلاقة بين الرجل والمرأة في تقسيم العمل. الصيد بالنسبة إلى الرجال، وجمع الثمار والطهو بالنسبة إلى النساء.

ويؤكد ريتشارد رانغام أنّ أكثر الدراسات مباشرة ووضوحاً لآثار الطبخ على الإنسان قامت بقياس قابلية الهضم، أي مقدار كمية الطعام التي تقوم أجسامنا بهضمه وامتصاصه: «لا يعيش المرء على ما يتناوله بل على ما يهضمه». وتالياً الالتفات إلى أهمية اللحم الطري في عملية الهضم. عندما كان جنود التتار يتحركون بسرعة تصعب عليهم عملية الطبخ، فكانوا يشربون دماء أحصنتهم، كما كانوا يضعون قطعاً من اللحم تحت سروج الأحصنة ويمتطونها طوال اليوم حتى تصبح طرية. كما سجّل بريلات سافارين في كتابه «متعة التذوّق» شهادة حماسية لتجربته: «عندما تناولت العشاء مع القبطان جادز الكرواتي عام 1815، لم يكن ثمة حاجة إلى هذه الجلبة للحصول على عشاء جيد، فعندما كنا نجوع في رحلات الكشافة، كنا نصطاد أول طريدة نجدها، ثم نقطع منها شريحة سميكة، نرش عليها الملح، ونضعها بين السرج وظهر الحصان، ثم نمتطيه ونجري به لوقت كافٍ، ثم نصيح بنشوة: لدينا عشاء يليق بالأمراء».

يقترح معظم علماء الآثار أنّ أصول الطهو، تعود إلى نحو 500 سنة مضت، فيما يقترح آخرون بأن انتظام طبخ البشر لطعامهم لم يبدأ حتى العصر الحجري القديم، منذ نحو أربعين ألف سنة، أي الوقت الذي كان فيه البشر متحضّرين إلى درجة اختراع فن الكهوف الخاص بهم. لكن ثمة اقتراح بين هذين الرأيين قدّمه عالم الأنثربولوجيا الطبيعية لورينغ براس. لاحظ الأخير منذ فترة طويلة أن الإنسان استطاع التحكّم بالنيران قبل مئتي ألف سنة على وجه التأكيد، ويقدّم رأيه القائل بأن الطبخ قد بدأ حول ذلك الوقت. بالتوازي مع هذه التواريخ، ينبّه هذا الباحث البريطاني إلى أن تطوّر الطعام من النيء إلى المطبوخ انعكس على البنية الجسمانية للبشر والحيوانات في آنٍ واحد بقوله: «التوافق بين طبيعة الطعام والبنية التشريحية للكائن الحي تحدده طبيعة الطعام أكثر من الخصائص التشريحية للكائن، فالأحصنة لا تتناول العشب لأنه حدث أن امتلكت النوع الأفضل من الأسنان والأمعاء لتناول العشب، بل إنها تمتلك أسناناً طويلة وأمعاء طويلة لأنها تتغذى مع تناول العشب، والبشر لا يتناولون الطعام المطبوخ لأنهم يمتلكون النوع الأفضل من الأسنان والأمعاء، بل إنهم يمتلكون الأسنان الصغيرة والأمعاء القصيرة كنتيجة لتغذيهم على تناول الطعام المطبوخ».

لذلك يمكننا تحديد الفترة التي بدأ فيها الطهو بالنظر إلى السجل الأحفوري. ففي وقت ما، تغيّرت البنية التشريحية الخاصة بأسلافنا لتتوافق مع نظامهم الغذائي المطبوخ. لا بد من أن يطلعنا على ما يتناوله بل على ما يهضمه». وتالياً الالتفات إلى أهمية اللحم الطري في عملية الهضم. عندما كان جنود التتار يتحركون بسرعة تصعب عليهم عملية الطبخ، فكانوا يشربون دماء أحصنتهم، كما كانوا يضعون قطعاً من اللحم تحت سروج الأحصنة ويمتطونها طوال اليوم حتى تصبح طرية. كما سجّل بريلات سافارين في كتابه «متعة التذوّق» شهادة حماسية لتجربته: «عندما تناولت العشاء مع القبطان جادز الكرواتي عام 1815، لم يكن ثمة حاجة إلى هذه الجلبة للحصول على عشاء جيد، فعندما كنا نجوع في رحلات الكشافة، كنا نصطاد أول طريدة نجدها، ثم نقطع منها شريحة سميكة، نرش عليها الملح، ونضعها بين السرج وظهر الحصان، ثم نمتطيه ونجري به لوقت كافٍ، ثم نصيح بنشوة: لدينا عشاء يليق بالأمراء».

يقترح معظم علماء الآثار أنّ أصول الطهو، تعود إلى نحو 500 سنة مضت، فيما يقترح آخرون بأن انتظام طبخ البشر لطعامهم لم يبدأ حتى العصر الحجري القديم، منذ نحو أربعين ألف سنة، أي الوقت الذي كان فيه البشر متحضّرين إلى درجة اختراع فن الكهوف الخاص بهم. لكن ثمة اقتراح بين هذين الرأيين قدّمه عالم الأنثربولوجيا الطبيعية لورينغ براس. لاحظ الأخير منذ فترة طويلة أن الإنسان استطاع التحكّم بالنيران قبل مئتي ألف سنة على وجه التأكيد، ويقدّم رأيه القائل بأن الطبخ قد بدأ حول ذلك الوقت. بالتوازي مع هذه التواريخ، ينبّه هذا الباحث البريطاني إلى أن تطوّر الطعام من النيء إلى المطبوخ انعكس على البنية الجسمانية للبشر والحيوانات في آنٍ واحد بقوله: «التوافق بين طبيعة الطعام والبنية التشريحية للكائن الحي تحدده طبيعة الطعام أكثر من الخصائص التشريحية للكائن، فالأحصنة لا تتناول العشب لأنه حدث أن امتلكت النوع الأفضل من الأسنان والأمعاء لتناول العشب، بل إنها تمتلك أسناناً طويلة وأمعاء طويلة لأنها تتغذى مع تناول العشب، والبشر لا يتناولون الطعام المطبوخ لأنهم يمتلكون النوع الأفضل من الأسنان والأمعاء، بل إنهم يمتلكون الأسنان الصغيرة والأمعاء القصيرة كنتيجة لتغذيهم على تناول الطعام المطبوخ».

لذلك يمكننا تحديد الفترة التي بدأ فيها الطهو بالنظر إلى السجل الأحفوري. ففي وقت ما، تغيّرت البنية التشريحية الخاصة بأسلافنا لتتوافق مع نظامهم الغذائي المطبوخ. لا بد من أن يطلعنا على ما يتناوله بل على ما يهضمه». وتالياً الالتفات إلى أهمية اللحم الطري في عملية الهضم. عندما كان جنود التتار يتحركون بسرعة تصعب عليهم عملية الطبخ، فكانوا يشربون دماء أحصنتهم، كما كانوا يضعون قطعاً من اللحم تحت سروج الأحصنة ويمتطونها طوال اليوم حتى تصبح طرية. كما سجّل بريلات سافارين في كتابه «متعة التذوّق» شهادة حماسية لتجربته: «عندما تناولت العشاء مع القبطان جادز الكرواتي عام 1815، لم يكن ثمة حاجة إلى هذه الجلبة للحصول على عشاء جيد، فعندما كنا نجوع في رحلات الكشافة، كنا نصطاد أول طريدة نجدها، ثم نقطع منها شريحة سميكة، نرش عليها الملح، ونضعها بين السرج وظهر الحصان، ثم نمتطيه ونجري به لوقت كافٍ، ثم نصيح بنشوة: لدينا عشاء يليق بالأمراء».

يقترح معظم علماء الآثار أنّ أصول الطهو، تعود إلى نحو 500 سنة مضت، فيما يقترح آخرون بأن انتظام طبخ البشر لطعامهم لم يبدأ حتى العصر الحجري القديم، منذ نحو أربعين ألف سنة، أي الوقت الذي كان فيه البشر متحضّرين إلى درجة اختراع فن الكهوف الخاص بهم. لكن ثمة اقتراح بين هذين الرأيين قدّمه عالم الأنثربولوجيا الطبيعية لورينغ براس. لاحظ الأخير منذ فترة طويلة أن الإنسان استطاع التحكّم بالنيران قبل مئتي ألف سنة على وجه التأكيد، ويقدّم رأيه القائل بأن الطبخ قد بدأ حول ذلك الوقت. بالتوازي مع هذه التواريخ، ينبّه هذا الباحث البريطاني إلى أن تطوّر الطعام من النيء إلى المطبوخ انعكس على البنية الجسمانية للبشر والحيوانات في آنٍ واحد بقوله: «التوافق بين طبيعة الطعام والبنية التشريحية للكائن الحي تحدده طبيعة الطعام أكثر من الخصائص التشريحية للكائن، فالأحصنة لا تتناول العشب لأنه حدث أن امتلكت النوع الأفضل من الأسنان والأمعاء لتناول العشب، بل إنها تمتلك أسناناً طويلة وأمعاء طويلة لأنها تتغذى مع تناول العشب، والبشر لا يتناولون الطعام المطبوخ لأنهم يمتلكون النوع الأفضل من الأسنان والأمعاء، بل إنهم يمتلكون الأسنان الصغيرة والأمعاء القصيرة كنتيجة لتغذيهم على تناول الطعام المطبوخ».

لذلك يمكننا تحديد الفترة التي بدا فيها الطهو بالنظر إلى السجل الأحفوري. ففي وقت ما، تغيّرت البنية التشريحية الخاصة بأسلافنا لتتوافق مع نظامهم الغذائي المطبوخ. لا بد من أن يطلعنا على ما يتناوله بل على ما يهضمه». وتالياً الالتفات إلى أهمية اللحم الطري في عملية الهضم. عندما كان جنود التتار يتحركون بسرعة تصعب عليهم عملية الطبخ، فكانوا يشربون دماء أحصنتهم، كما كانوا يضعون قطعاً من اللحم تحت سروج الأحصنة ويمتطونها طوال اليوم حتى تصبح طرية. كما سجّل بريلات سافارين في كتابه «متعة التذوّق» شهادة حماسية لتجربته: «عندما تناولت العشاء مع القبطان جادز الكرواتي عام 1815، لم يكن ثمة حاجة إلى هذه الجلبة للحصول على عشاء جيد، فعندما كنا نجوع في رحلات الكشافة، كنا نصطاد أول طريدة نجدها، ثم نقطع منها شريحة سميكة، نرش عليها الملح، ونضعها بين السرج وظهر الحصان، ثم نمتطيه ونجري به لوقت كافٍ، ثم نصيح بنشوة: لدينا عشاء يليق بالأمراء».

يقترح معظم علماء الآثار أنّ أصول الطهو، تعود إلى نحو 500 سنة مضت، فيما يقترح آخرون بأن انتظام طبخ البشر لطعامهم لم يبدأ حتى العصر الحجري القديم، منذ نحو أربعين ألف سنة، أي الوقت الذي كان فيه البشر متحضّرين إلى درجة اختراع فن الكهوف الخاص بهم. لكن ثمة اقتراح بين هذين الرأيين قدّمه عالم الأنثربولوجيا الطبيعية لورينغ براس. لاحظ الأخير منذ فترة طويلة أن الإنسان استطاع التحكّم بالنيران قبل مئتي ألف سنة على وجه التأكيد، ويقدّم رأيه القائل بأن الطبخ قد بدأ حول ذلك الوقت. بالتوازي مع هذه التواريخ، ينبّه هذا الباحث البريطاني إلى أن تطوّر الطعام من النيء إلى المطبوخ انعكس على البنية الجسمانية للبشر والحيوانات في آنٍ واحد بقوله: «التوافق بين طبيعة الطعام والبنية التشريحية للكائن الحي تحدده طبيعة الطعام أكثر من الخصائص التشريحية للكائن، فالأحصنة لا تتناول العشب لأنه حدث أن امتلكت النوع الأفضل من الأسنان والأمعاء لتناول العشب، بل إنها تمتلك أسناناً طويلة وأمعاء طويلة لأنها تتغذى مع تناول العشب، والبشر لا يتناولون الطعام المطبوخ لأنهم يمتلكون النوع الأفضل من الأسنان والأمعاء، بل إنهم يمتلكون الأسنان الصغيرة والأمعاء القصيرة كنتيجة لتغذيهم على تناول الطعام المطبوخ».

لذلك يمكننا تحديد الفترة التي بدا فيها الطهو بالنظر إلى السجل الأحفوري. ففي وقت ما، تغيّرت البنية التشريحية الخاصة بأسلافنا لتتوافق مع نظامهم الغذائي المطبوخ. لا بد من أن يطلعنا على ما يتناوله بل على ما يهضمه». وتالياً الالتفات إلى أهمية اللحم الطري في عملية الهضم. عندما كان جنود التتار يتحركون بسرعة تصعب عليهم عملية الطبخ، فكانوا يشربون دماء أحصنتهم، كما كانوا يضعون قطعاً من اللحم تحت سروج الأحصنة ويمتطونها طوال اليوم حتى تصبح طرية. كما سجّل بريلات سافارين في كتابه «متعة التذوّق» شهادة حماسية لتجربته: «عندما تناولت العشاء مع القبطان جادز الكرواتي عام 1815، لم يكن ثمة حاجة إلى هذه الجلبة للحصول على عشاء جيد، فعندما كنا نجوع في رحلات الكشافة، كنا نصطاد أول طريدة نجدها، ثم نقطع منها شريحة سميكة، نرش عليها الملح، ونضعها بين السرج وظهر الحصان، ثم نمتطيه ونجري به لوقت كافٍ، ثم نصيح بنشوة: لدينا عشاء يليق بالأمراء».

يتتبّع آثار المواقد المكتشفة في مواقع أثرية مختلفة، معظمها يعود إلى نحو أربعمئة ألف سنة

رواية

«ثومة» باحث بأسرارها في «حانة الستّ»

غنوة فضة

عبر روايته الجديدة «حانة الستّ» (دار المثقّف/ القاهرة ـ أقلام عربية)، يحجز الكاتب المصري محمد بركة (1972) مكاناً وسطيّاً بين التاريخ والأدب، إذ يشكّل خطاباً سردياً أنهمك في توظيف الواقع ودمجه بالمتخيّل. هي رواية سيرة لقصة محجوبة عن أكثر السيّدات جدلاً في القرن العشرين، وأكثر أعمدة الفن العربي شهرة واحتلالاً لصفحات المجلّات وخشبات المسارح العربية والعالمية. إنها سيرةٌ لأمّ كلثوم وبلسانها، تفتح أبواب الفضول للتعرّف إلى الفنانة الإنسانة، وتُصبح عن صوتٍ كان له أن ينقذ عائلتها من ورطة الاستعباد وسط قرية غارقة في البؤس والظلام. «لقد سكنتْ جسد كاتبي...» هكذا يخرج صوتها كما لو أن الكاتب يروي بتفويض خطي لصالح حكاية مغيّبة ومنسيّة.

«كانت أمي الحنان المؤجل، وأبي الحسرة المقيمة»، بهذه العبارة يلخص الكاتب ولادة الطفلة المتنازَع على اسمها. إذ تسجّل الأمّ تمرّدها الأول والأخير، متمسكةً بدعوة ابنتها «ثومة»، فيما يخرج صوت الأب الديكتاتور ابراهيم البلتاجي كمن ينطق بقرار لا رجعة فيه: ستكون أم كلثوم. الاسم الذي التصق بالطفلة وصاغ حياة أسرةً بشكل غير مسبوق، فالحنجرة المعجزة غنّت في الحقول، وتمرّست على التجويد وأداء التواشيح في قريةٍ سماؤها الفقر وعائلةٍ تكمل نصف عشائها نوماً.

تصنع الطفلة مسارها ورؤاها الخاصة في قرية السنبلاوين، تراكم نقدها بصوتها الداخلي بدءاً من علاقتها المتشنّجة بأخيها الشيخ خالد، الذي تسبّب بتوقيف مسيرتها الفنيّة مرات عديدة انطلاقاً من مشهد التبجيل الذي يحظى به الذكر. إلا أنها تزجر تعلّقها بمكانٍ غارقٍ في الظلم والكآبة، وترفض بخطاب تهكّمي وهزلي محيطها حين تسترجع نسوةٌ قريتها المستعبدات، وذاتها الأنثوية التي أطّرتها الأعراف بالشرف، لتكبر على فكرة الأنوثة وارتباطها بالعار، انتهاء بأمٍّ تزيد ساعات عملها في الحقول المروية بعرق الفلاحين كي تساعد ابنتها على فكّ الحرف.

يبلغ السَخط منتهاه حين يُسيطر الأب كما الفقر على مستقبل الطفلة المراهقة، فالحاجة تدفعهُ للاستعانة بصوتها في الموالد والأفراح، لتجتر على ارتداء العقال البدوي والملابس الذكورية وتطوف حول القرى والبلدات تجنّباً للفضيحة وستراً لما أسماه رجالها عاراً كبيراً.

يبني الكاتب في نصّه خطّاً تاريخياً موازياً لفضاءه الروائي، ويُفصح عن حقبة هامة من تاريخ مصر والعرب، من ثورة عرابي إلى الملكيّة حتى ثورة تموز ووفاة «كوكب الشرق»، بعد أن يكون قد كشف المستور، وأوضح الالتباسات، وقشع الظلال الباهتة عن الجدل المثار حول حياتها الخاصة بأدوات مزجت الواقعي بالتخيلي، كما لو أنه أراد أن يثبت مقولة الفيلسوف الإيطالي أمبرتو إيكو: أجل.. بإمكان الخيال أن يخلق الواقع؛ ذلك الخيال الذي يُثير، ويحرّك الراكد، وينتج المعاني، ويعكس في القارئ انفعالاتٍ شتى.

«لقد رموا بي إلى الذئاب، فعدتُ قائدة القطيع» هكذا تفضّل الطفلة المعجزة أن تلخّص سيرة حياتها، فالهارية من قرية منسية إلى نعيم المحروسة، تكتسب شخصية جديدة نمت بين القصور وعلى موائد الباشاوات. هنا يتجاذب الرواية هاجسان: الأمانة التي تسير وفقاً لسيرة حقيقية، وكون سردي موازٍ يحافظ على جمالية النص، ويحطم تلك الصورة المثالية والمقدسة لأم كلثوم؛ الجاحدة للهشاشة الإنسان القابع داخل الفنانة، وضعفها البشري وإنسانيةٍ من لم تلبس الملابس الزاهية يوماً، ولم تفرح كما فرحت بقية البنات.

يستمر الكاتب في السير زمنياً، يكشفُ عتمة الصعود وخلبية السطوع الذي رافق النجمة. يفتح ملف علاقاتها السياسية، واستثمارها بدافع الدوام وتطفو على السطح وتتخذ أشكالها الحقيقية في تحولها إلى مسائل عرضة للنقاش وأحياناً للصراع في مناخ غير منضبط حيث لا حاجة لكلمات متأنّقة» يشير الصليبي في ورقته.

ينطلق الصليبي بعد ذلك إلى شرح تداعيات «تشتّت» الفلسطيني في الدول العربية، ونتائج توقيع اتفاق الهدنة في عام 1949، ثم العدوان الثلاثي على مصر (1956)، ثم حرب عام 1967 (ما يُعرف بالنكسة)، كل هذه الأمور أسهمت في دفع الفلسطينيين إلى «تشكيل أطرهم» و«الإمساك بزمام أمرهم»، وتمسّكهم بهويتهم الوطنية المستقلة وتأسيس منظمة تحريرهم الخاصة. ولا ينسى الصليبي أن يشير إلى أنّ الفلسطينيين شكّلوا «طبقة وسطى متألقة متوزّعة على عدة دول عربية ومتقدمة في مهاراتها، فكانوا قدوة ووفّروا لحركتهم قيادة وبنى تحتية. وفي المقابل كانت هناك الجماهير في مخيمات اللاجئين على أهبة الاستعداد للتطوع في النشاطين السياسي والعسكري». من هنا كانت التجربة قابلة للنجاح، فضلاً عن أنها كانت تمتلك الحرية والمقدرة والدعم الشعبي حتى على «زعزعة الدول العربية» نفسها وأنظمتها بالتالي. لم يدم ذلك طويلاً حتى اندلعت المواجهات بين الفلسطينيين من جهة والنظام في الأردن، وحدث ما يُعرف بأحداث أيلول الأسود عام 1970، حيث أدى نجاح فلسطيني سريع «في زعزعة النظام إلا أنّ ذلك أثار حفيظة وطنية جامحة وعنيدة في صفوف سكان شرقي الأردن الأصليين الذين التفوا رأساً حول النظام المهدّد وساعدوه على سحق الثورة في أراضيه». الأمر ذاته تكرّر لكن هذه المرّة على يد جيش الاحتلال الصهيوني في عام 1982 في لبنان، حين «جرى تدمير الثورة الفلسطينية» برضى المسيحيين، تلك الثورة الفلسطينية التي يسميها الصليبي: «ثورة مكثّفة، أصغر حجماً بيد أنّها ذات طاقة أقوى على الأرض».

ينطلق الكتاب بعد ذلك صوب شرح تأثير المسائل الإقليمية الحديثة على الداخل اللبناني، والصراعات التي أفضت بشكل أو بآخر إلى ما حدث ويحدث ـ حتى اليوم ـ في هذا الداخل. في المحصلة، يضع هذا الكتاب نقاطاً على حروف كثيرة في قضايا شائكة ومعقّدة تجري رحاها حتى اللحظة.

يبني الكاتب خطّاً تاريخياً موازياً لفضاءه الروائي

دراسة

كمال الصليبي: «شؤون» لبنانيّة

عبد الرحمن جاسم

كتاب «كمال الصليبي: لبنان ومسألة الشرق الأوسط» (دار نلسن باللغتين العربية والإنكليزية)، عبارة عن ترجمة لـ «ورقة أعدّها أستاذي الفاضل كمال الصليبي (1929-2011) ونشرها له مركز الدراسات اللبنانية (center for Lebanese studies) في أكسفورد في كتيب. وهي الورقة الثامنة ضمن سلسلة «أوراق لبنانية»، الصادرة عن المركز نفسه. كان ذلك في عام 1988» وفق ما يرد في توطئة الكتاب لمترجم العمل محمود شريح. الأخير هو تلميذ الصليبي درس على يد المؤرّخ اللبناني في «الجامعة الأميركية» في بيروت.

يؤرّخ الصليبي في الكتاب التاريخ اللبناني منذ إعلان دولة لبنان الكبير عام 1920، ناحياً صوب ارتباط لبنان بالمسألة الفلسطينية على مدى أربعة عقود: منذ أربعينيّات القرن الماضي وصولاً إلى ثمانينياته، «مروراً بانطلاقة الثورة الفلسطينية واتساع قاعدتها العربية الداعمة لها، إلى صدامها مع النظام الأردني ثم انخراطها في الحرب الأهلية اللبنانية وخروجها من بيروت في أعقاب اجتياح 1982» بحسب ما يُشير الكتاب.

بعدها، يحاكي الكتاب/ الورقة البحثية مدى تأثير نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية واندلاع الحرب العراقية الإيرانية على لبنان. يرى أنّ ذلك أدّى إلى «تنامي أصوليّتين، سنّية وشيعية، فكانت مواجهة بين الإسلام الشيعي والإسلام السني» في لبنان والمشرق العربي ككلّ. يفهم الصليبي أنّ القضية اللبنانية ليست بمعزلٍ عمّا يحدث خارج لبنان، وأنّ أيّ محاولة للتوصل إلى «تسويتها» بمعزل عن ذلك هي مسألة «شائكة» و«لا يمكن التكهّن بمصيرها» أو المراهنة عليها كي تنجح. يشرح الصليبي في الكتاب أنّ الصراع العربي الإسرائيلي قد أرخى بثقله على القضايا كلّها في الشرق الأوسط، وأنّ أيّ تسوية في المنطقة محكومة بذلك. يفكّك الصورة الكاملة المعقّدة إلى مشاهد عدّة ليمكّن القارئ/ المتابع من إدراكها. فالمشهد اللبناني، ينطلق من طبيعة لبنان السياسية التي شكّلها المحتل الفرنسي، وارتباطه «كمشروع» مسيحي للبنان، وإن كان المسلمون قد ارتضوا المشروع على أنه «وظيفي»، ذلك أن المسلمين اعتبروا أنفسهم جزءاً من أمةٍ عربيةٍ أكثر اتساعاً. هذا الأمر جعل المسيحيين أكثر تمسكاً بحقائبهم ومراكزهم السيادية/ الوزارية والرئاسية، كما بامتيازاتهم؛ فيما «مسلمو لبنان بقوا مستائين من السيطرة المسيحية على النظام السياسي اللبناني، ما حفّزهم على تعطيل سياسة الدولة عند كل منعطف، مساومين على استقلاليّة هذه السياسة لصالح الأحزاب العربية الخارجية، وعادةً بدعم عربي خارجي» بحسب الكتاب.

في الإطار ذاته، يميّز الصليبي المجتمع اللبناني عن المجتمعات العربية (وانطمتها حكماً) بنقاشه الحر في مسائله الوطنية وغير الوطنية، وهو مجتمع منفتح: «مهما يكن من أمر، وعلى عكس ما هو عليه في العالم العربي، فإنّ القضايا الوطنية والإقليمية، ومهما كانت شائكة أو حساسة، تبقى على التي تسبب وفقاً لسيرة حقيقية، وكون سردي موازٍ يحافظ على جمالية النص، ويحطم تلك الصورة المثالية والمقدسة لأم كلثوم؛ الجاحدة للهشاشة الإنسان القابع داخل الفنانة، وضعفها البشري وإنسانيةٍ من لم تلبس الملابس الزاهية يوماً، ولم تفرح كما فرحت بقية البنات.

يستمر الكاتب في السير زمنياً، يكشفُ عتمة الصعود وخلبية السطوع الذي رافق النجمة. يفتح ملف علاقاتها السياسية، واستثمارها بدافع الدوام وتطفو على السطح وتتخذ أشكالها الحقيقية في تحولها إلى مسائل عرضة للنقاش وأحياناً للصراع في مناخ غير منضبط حيث لا حاجة لكلمات متأنّقة» يشير الصليبي في ورقته.

ينطلق الصليبي بعد ذلك إلى شرح تداعيات «تشتّت» الفلسطيني في الدول العربية، ونتائج توقيع اتفاق الهدنة في عام 1949، ثم العدوان الثلاثي على مصر (1956)، ثم حرب عام 1967 (ما يُعرف بالنكسة)، كل هذه الأمور أسهمت في دفع الفلسطينيين إلى «تشكيل أطرهم» و«الإمساك بزمام أمرهم»، وتمسّكهم بهويتهم الوطنية المستقلة وتأسيس منظمة تحريرهم الخاصة. ولا ينسى الصليبي أن يشير إلى أنّ الفلسطينيين شكّلوا «طبقة وسطى متألقة متوزّعة على عدة دول عربية ومتقدمة في مهاراتها، فكانوا قدوة ووفّروا لحركتهم قيادة وبنى تحتية. وفي المقابل كانت هناك الجماهير في مخيمات اللاجئين على أهبة الاستعداد للتطوع في النشاطين السياسي والعسكري». من هنا كانت التجربة قابلة للنجاح، فضلاً عن أنّها كانت تمتلك الحرية والمقدرة والدعم الشعبي حتى على «زعزعة الدول العربية» نفسها وأنظمتها بالتالي. لم يدم ذلك طويلاً حتى اندلعت المواجهات بين الفلسطينيين من جهة والنظام في الأردن، وحدث ما يُعرف بأحداث أيلول الأسود عام 1970، حيث أدى نجاح فلسطيني سريع «في زعزعة النظام إلا أنّ ذلك أثار حفيظة وطنية جامحة وعنيدة في صفوف سكان شرقي الأردن الأصليين الذين التفوا رأساً حول النظام المهدّد وساعدوه على سحق الثورة في أراضيه». الأمر ذاته تكرّر لكن هذه المرّة على يد جيش الاحتلال الصهيوني في عام 1982 في لبنان، حين «جرى تدمير الثورة الفلسطينية» برضى المسيحيين، تلك الثورة الفلسطينية التي يسميها الصليبي: «ثورة مكثّفة، أصغر حجماً بيد أنّها ذات طاقة أقوى على الأرض».

ينطلق الكتاب بعد ذلك صوب شرح تأثير المسائل الإقليمية الحديثة على الداخل اللبناني، والصراعات التي أفضت بشكل أو بآخر إلى ما حدث ويحدث ـ حتى اليوم ـ في هذا الداخل. في المحصلة، يضع هذا الكتاب نقاطاً على حروف كثيرة في قضايا شائكة ومعقّدة تجري رحاها حتى اللحظة.

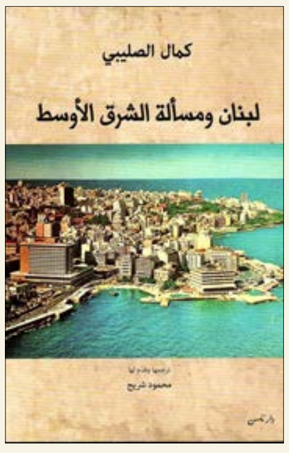

يميّز الكاتب المجتمع اللبناني عن المجتمعات العربية لجهة الانفتاح والنقاش الحرّ

لمحات

شربل داغر

هل نهى الفقه الإسلامي عن تصوير الرسول تحديداً أم عن التصوير؟ هل أجمعت المذاهب الإسلامية أم اختلفت في الموقف من الصورة، ولا سيما الفنية منها؟ هل هناك فروق بين مواقف الفقهاء، وبين ممارسات الفنانين أنفسهم في هذه الثقافة أو تلك؟ هذه بعض الأسئلة التي ينطلق منها شربل داغر في مؤلّفه الجديد «بين الفقه والفن: النزاع على الصورة» (المركز الثقافي العربي). يحاول الباحث والكاتب اللبناني أن يصل إلى خلاصات لهذه الأسئلة، من خلال معالجة ما يُطلق عليه فقه الصورة، وقضاياه المتعلّقة بأسباب القوّة والفن وموازينهما والخيارات الجمالية.

أحمد الواصف

يقدّم أحمد الواصل «سرديولوجيا الجزيرة العربية: البداوة والمرأة والنسب» (منشورات الجمل) قراءة لحواضر العالم العربي على السواحل وعصورها المتنوّعة التي اختلفت باختلاف القادمين إليها من الحضارات اليونانية والرومانية والفرنجية والسومرية والآشورية والبابلية والكلدانية وسلالات وشعوب أخرى. ينطلق الكتاب من القراءة الثقافية لدور السرديات في بصل إلى خلاصات لهذه الأسئلة، من خلال معالجة ما يُطلق عليه فقه الصورة، وقضاياه المتعلّقة بأسباب القوّة والفن وموازينهما والخيارات الجمالية.

احمد الحرباوي

ترصد رواية «احتضار عند حافة الذاكرة» (نوفل – هاشيت أنطوان) لأحمد الحرباوي التحوّلات السياسية والديناميات الاجتماعية في مدينة الخليل.

يستعيد الروائي الفلسطيني حقبة من تاريخ بلاده، تعود إلى الحكم التركي لبلاد الشام، وحركات رفض التتريك، وبداية الانشقاق العربي نحو حركات التحرّر.

يضع كل ذلك ضمن حبكة روايته، وشخصياتها المتنوّعة منها اليهودي الذي حارب التتريك، وامرأة تحدّت عداء محيطها المستحدث لليهود فأرضعت طفلة فقدت أمّاً يهودية، ومعلمة في إرسالية روسية أنقذت فلسطينيتين.

شاكر لعيبي

يخوض شاكر لعيبي تجربة نقدية وتوثيقية مختلفة في مؤلّفه الجديد «تحطيم التماثيل في فضاءات العالم العربي العامة» (دار خطوط وظلال). في تغيّب مادة تاريخ الفن عن غالبية معاهد ومدارس العالم العربي، يتّخذ الباحث والشاعر العراقي على عاتقه دراسة موضوع تحطيم التماثيل في العالم العربي. يستعرض الكتاب الدوافع التي أدّت إلى تحطيم التماثيل في الفضاءات العامّة، منها تحطيم السلفيين والإرهابيين لها، كما يمرّ على ردود الفعل الشعبية والوطنية تجاه هذا الفعل الذي كان مدفوعاً غالباً بسيادة الوعي بالفن بصفته وثيقة أكثر من كونه إبداعاً جمالياً.

باربارا كريمر

تكتب باربارا كريمر سيرة مزدوجة للكاتبة الأميركية الراحلة توني موريسون، تغطي حياتها الشخصية والعائلية، وتجربتها الأكاديمية من جهة والروائية المتفرّدة في الأدب الأفرو أميركي. السيرة التي صدرت بالإنكليزية سنة 1996، انتقلت إلى العربية أخيراً بعنوان «توني موريسون: سيرة موجزة لكاتبة شجاعة» (المدى – ترجمة وتقديم: لطيفة الدليمي). يتتبّع الكتاب فصولاً من حياة موريسون وطفولتها ورحلتها الأكاديمية حيث درّست في جامعات أميركية عدّة، كما يتوقّف عند أهمّ تجاربها الروائية والتي شكّلت علامات فارقة في الأدب الأميركي والعالمي توّجتها دولوز وهو فلسفة نيتشه.

جيل دولوز

يضمّ «خارج الفلسفة» (منشورات المتوسّط) مختارات من نصوص الفيلسوف والناقد الفرنسي جيل دولوز، اختارها وترجمها كلّ من المفكر والكاتب المغربي عبد السلام بنعبد العالي والأكاديمي المغربي عادل حدجامي. يأتي المؤلّف كمقدّمة وافية لقراءة دولوز، خصوصاً من قبل مترجمين عملا في حياتهما على ترجمة دولوز، وألّفا كتباً عنه، كما أن النصوص المختارة تغطي الموضوعات الم

أوراق

إنجيل النياندرتال

زكريا محمد *

أصبح رسم ملغز باللون الأحمر من كهف لاباسيجا Cave of La Pasieg في إسبانيا واحداً من أشهر رسوم الكهوف في الكرة الأرضية كلها، بعدما بيّن اختبار بالكربون المشعّ في عام 2018 أنه يعود إلى ما يقرب من 65 ألف سنة من الآن. هذا التوقيت يعني أنّ من رسموا الرسمة من صنع النياندرتال Neanderthals، الذين كان يُنظر إليهم على أنهم نوعية أدنى من الهومو سبينس Homo sapiens الذين انبثق الإنسان الحديث منهم، والذي ظهر بعد زمن الرسمة بنحو 25 ألف سنة. بذا، فقد حطمت هذه الرسمة أسطورة النياندرتال (المتخلّفين). فإذا كانت الرسمة من صنع النياندرتال، فقد كانوا بشراً قادرين على التفكير وعلى إنتاج المفاهيم والرموز والمعتقدات الدينية.

رسمة عن رسمة كهف لاباسيجا

قبل هذه الرسمة، كان إنسان النياندرتال يدرس من خلال عظامه: فهذه العظمة من الكفّ تدل على كذا، وهذه العظمة من الفك تدل على أنه ربما كان ينطق ويملك لغة، إلخ. أما مع هذه الرسمة، فقد جاء الوقت كي تدرس أفكار هذا الإنسان من خلال نتاجه الفني، أو الديني، لا من خلال عظامه. صحيح أنّنا لا نملك حتى الآن إلا هذه القطعة، إلا هذا النص الوحيد - إذا استثنينا الدوائر التي عُثر عليها عام 2016 . فأعماق كهف برونيكيل Bruniquel Cave في فرنسا تعود إلى 177 سنة. لكن من قال إنّه لا يمكن استعادة عالم بكامله من خلال نص واحد؟ فإذا كان العلماء قادرين على تقديم فكرة ما عن إنسان النياندرتال من خلال عظمة صغيرة من فكّه، فلماذا لا يكون بإمكاننا نحن أن نقدم فهماً لعالمه ومعتقداته من خلال نصّ من إنتاج عقله، خاصة إذا كان هذا النص مركّباً ومعقّداً إلى حدّ لا بأس به؟

ولأنّ رسمة كهف لاباسيجا هي النص النياندرتالي الأكيد الوحيد الذي بين أيدينا حتى الآن، علينا أن نتعامل معه على أنه إنجيل النياندرتال. ومن هذا الإنجيل المكتوب بالمغرة الحمراء، علينا أن نستخرج رؤيته للكون، وأن نفهم معتقداته وآلهته. لكن علينا أن نعترف أن النص/ الرسمة يبدو شديد التعقيد، كما نرى في الصورة أعلاه. فهو مليء بالأشكال والرموز الغريبة غير المألوفة لنا. هناك في المركز سلّم، أو بيت المتطاول العمودي، مكوّن من ثلاث غرف أو خانات. في الخانة العليا، هناك النصف الخلفي لحيوان بذيل قصير جداً. أما في الخانة السفلية، فهناك النصف الأمامي لطراز من الظباء في ما يبدو. فهل نحن مع حيوان واحد أم مع حيوانين اثنين؟ وإذا كان الأمر يتعلق بحيوانين، فلماذا حُذف نصف كل منهما؟ وهل يعني هذا أنّ الحيوانين يمثلان دورة طبيعية ما تبدأ بالحيوان الأعلى وتنتهي مع الحيوان السفلي؟

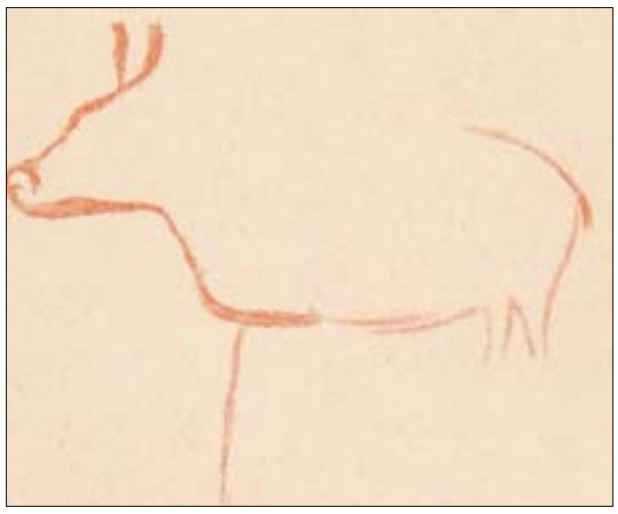

أم أن الأمر يتعلق بحيوان واحد مقسوم إلى قسمين، وأن جمع القسمين يعطينا صورة هذا الحيوان كما في الصورة أعلاه؟ وإذا كنا مع حيوان واحد حقاً يشبه الصورة أعلاه، فنحن مع ظبي بكل تأكيد. ومن المحتمل أنه الظبي الذي يسمى roe deer أو (اليحمور الأوروبي) كما يُترجم اسمه إلى العربية.

أما الخانة الوسطى في البيت/ السلم فخالية.

وفي أسفل السلم، هناك شكل يشبه رأس طلقة بندقية. ثم يقع على يميننا أكثر الأشكال تعقيداً وتركيباً، بحيث لا يمكن وصفه بسهولة في سطر أو سطرين، كما تظهر الصورة أدناه. وقد تهيأ لي أنّ هذا الشكل يشبه صورة كوكبة الكلب الأكبر في السماء.

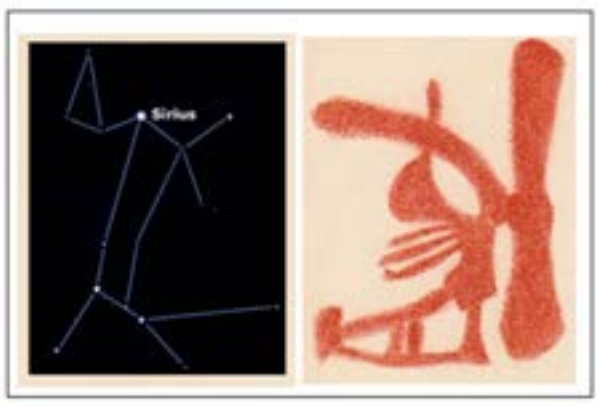

رسم كوكبة الكلب الأكبر إلى جانب شكل لاباسيجا

لكن هذا قد يكون مجرد تهيّؤات لا غير.

في أي حال، علينا أن نشعر بالامتنان لمن رسم الرسمة لأنه فصّل بوضوح بين لغة الأرقام ولغة الرموز. فهناك في الأعلى، وفوق يسار السلم، مجموعة خطوط متعرّجة مشكّلة بالنقاط، هي في ما يبدو كتابة رقمية، أي روزنامة. بل إنها تكاد تقول لنا: أنا روزنامة، وأنا أتحدث بلغة الأرقام، فهل تفهمونني؟ وإذا صحّ أنها روزنامة حقاً، فهي تعكس أقدم محاولة للسيطرة على الزمن نعرفها في التاريخ.

ويفترض أن لغة الأرقام، أي الروزنامات، هي الأسهل نسبياً. بذا يفترض أن يكون مدخلنا لحل ألغاز الرسمة عبر هذه الروزنامة. لكن هذه الروزنامة تبدو مراوغة وشديدة التعقيد. وهي تتبدّى للعين بطريقتين اثنتين. في الطريقة الأولى تظهر بأنها مكوّنة من ثلاث قطع:

1- قطعة عمودية إلى اليمين مكوّنة من أربعة خطوط، في كل خط أربع نقاط. لكن في الأعلى، هناك نقطتان أبرزهما المصمّم خارج النظام الرباعي. وإجمالي عدد النقاط في القطعة من دونهما هو 44 نقطة. أما مع النقطتين، فنكوّن 46 نقطة.

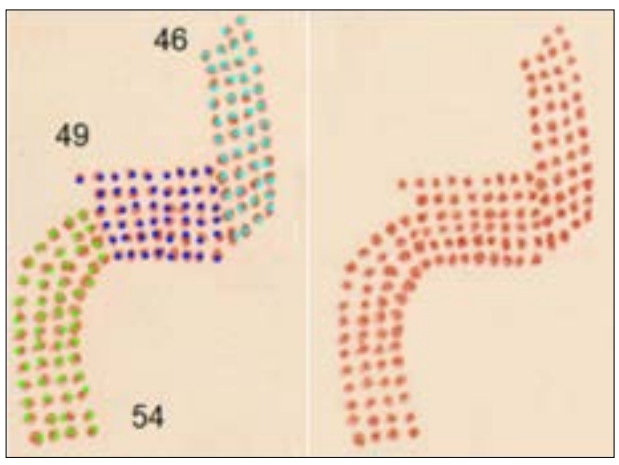

روزنامة كهف لاباسيجا

2- قطعة وسطى مكوّنة من 8 صفوف، في كل صف 6 نقاط. لكن الخط الأعلى يحوي نقطة بارزة زائدة إلى اليسار تجعله يحوي 9 نقاط. ولا بد من أن المصمم جعلها تبرز قصداً. والقطعة مكوّنة من 49 نقطة. وإذا أبعدنا النقطة البارزة فهي 48 نقطة.

3- قطعة ثالثة منحنية تهبط إلى الأسفل مكوّنة من أربعة خطوط. ورغم أن عدد النقاط في هذه الخطوط ليس متساوياً، فقد عمد المصمم إلى ترتيب النقاط بحيث تبدو السطور متساوية. لم يجعل خطاً أطول من خط، ولم يُبرز نقطة خارج الصف. وعدد النقاط في هذه القطعة 54 نقطة. إذاً، فلدينا الأرقام التالية: 46 (44+2)، 49 (48+1)، 54= 149. ولو أبعدنا النقاط الثلاث التي برزت عن غيرها في الروزنامة، فسيكون لدينا 146 نقطة.

وفي الطريقة الثانية، تظهر الرسمة على أنها مشكّلة من خمسة خطوط أفعوانية متموّجة.

وفي حضن الخطوط الأفعوانية، هناك خطان أفقيان من النقاط: واحد مكوّن من تسع نقاط، وآخر مكوّن من ثماني نقاط.

على أي حال، من شبه المؤكد، أو المؤكد، أننا مع روزنامة، وأن الرقمين المركزيين في هذه الروزنامة هما: 146 و 149. وعلينا أن نتعامل مع هذه الأرقام وأن نفهمها لكي نفهم كيف تعامل البشر مع الزمن قبل 65 ألف سنة.

وقد عالجت في كتابي القادم «سنة الحية: روزنامات العصور الحجرية ومعتقداتها» نص النياندرتال هذا، وفككت معنى الروزنامة كما أظن. لكنني أتحدث عن هذا قبل صدور الكتاب الذي يفترض أن يصدر أوائل السنة المقبلة.

* شاعر فلسطيني